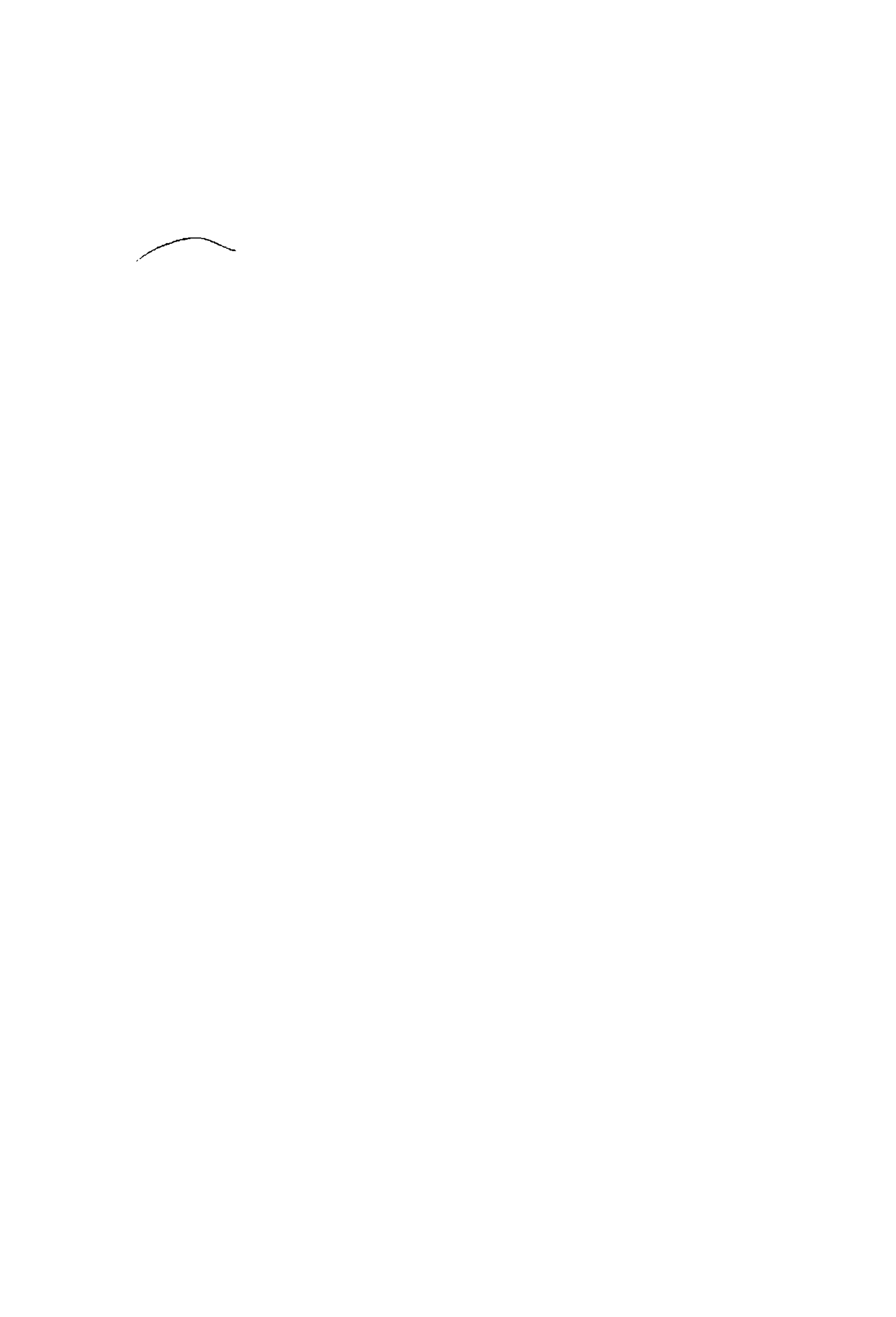
حكايا الموقد الخشبي

قصص وحكايات من الفولكلور الكردي

إعداد وترجمة: ماجد الحيدر



معهد التراث الكردي- دهوك



حكايات الموقد الخشبي



حكايات الموقد الخشبي

قصص وحكايات من الفولكلور الكردي

إعداد وترجمة

ماجد الحيدر



معهد التراث الكردي- دهوك

اسم الكتاب: حكايات الموقد الخشبي- قصص وحكايات من الفلكلور الكردي

إعداد وترجمة: ماجد الحيدر

مراجعة وتدقيق: ياسين حسين

التصميم الداخلي والغلاف: ياسين حسين

سلسلة الكتاب: ٢٥٨ -مركز دهوك

الطبعة الأولى: مطبعة معهد التراث الكردي- السليمانية

عدد النسخ: ٢٥٠

رقم الإيداع (١٦٥٣) لسنة (٢٠٢١) وزارة الثقافة لأقليم كوردستان

العنوان: العراق- سليمانية

محلة: ١ / حي: ٢ / زقاق: ٣٤ / رقم الدار: ٢

Tel: ٠٠٩٦٤ ٥٣ ٣٢٠٤٢٣٢

٠٥٣ ٣٢١٠١٥٧

٠٦٢ ٧٦١١٢٢٥٣

www.khi.krd

khip_2003@hotmail.com

فهرست

مقدمة المعهد........................... ١١

مقدمة.................................... ١٣

حكاية قاطع الطريق رزكين.................. ١٥

ومن أحمقُ من المختار؟..................... ١٩

من مكرِ النساء........................... ٢١

ما تفعله بيمناك تتلقاه بيسراك.............. ٢٤

لا تأمن لامرأة، ولا لرجل حكومة............. ٢٧

قد يفلت المجرم ويبتلي البريء.............. ٣٠

سرّي سينكشف، ولو بحَباب المطر............ ٣٣

حلم الحاكم.............................. ٣٦

حكاية شاقولي، الأخرق عاثر الحظ........... ٣٩

حكاية الشيخ سليمان "أبو رجل الجرس"..... ٤٣

حكاية الثعلب والسلحفاة.................... ٤٧

حتى عرف العقل أودى بالمال................ ٥٠

تحلَّ بالصبر تكن أمير مصر.................. ٥٤

الشام سكّر لكن الوطن أحلى................. ٥٧

إذا جاءك الموت فلا تدر مؤخرتك............ ٥٩

أبداً لن أبوح بما يجري الماءُ فوقه............ ٦١
يا قنفذي فدتكَ أمُك..................... ٦٤
ماذا سيحدث لو كان رماناً!؟............. ٦٦
لو أنبت الندم قروناً لبلغت قرون الملك السماء ٦٨
لا أحد يسدُّ مكان غيره................. ٧٠
كلمة السوء تطير بجناحين............... ٧٣
حكاية أمير هَكاري...................... ٧٥
العقل الخفيف عبءٌ ثقيل................ ٧٩
الظلم لا يدوم......................... ٨١
الخير يجلب الخير والشر يجلب الشر......... ٨٣
اخسَر رأسك ولا تفضح سرك............. ٨٧
اضرِب، اضرِب ، لن تنال غير ما رأيت......... ٩١
الدب الممتن.......................... ٩٦
حسن الصياد.......................... ٩٩
الملا الفاسق........................... ١٠٤
ما بالقلب يبين في اليد.................. ١٠٧
فرسان مريوان الاثنا عشر.................. ١٠٩
عاقبة البخل........................... ١١١
حكاية الأخوين الفقيرين.................. ١١٧
حكاية أمير هكاري وبشارة طائر الربيع........ ١٢٠
ثمن الريح ريح......................... ١٢٤
حلم البعير............................ ١٢٦

حكاية لاس وغزال........................ ١٢٨
حكاية ديك آغا.......................... ١٣٥
انا اعرف ولكن تعال افهم احمد آغا............. ١٣٩
ابنة الحائك............................ ١٤١
الجنازة................................ ١٤٦
الضيافة العجيبة......................... ١٤٨
الفقير الماكر والغني الأحمق................. ١٥٠
تختبيش................................ ١٥٣



مقدمة

داب معهد التراث الكردي منذ بدايات تأسيسه سنة ٢٠٠٣، على جمع وحفظ وارشفة التراث الشفاهي الكردي، بل وقام بتدوين عدد غير قليل من بحر هذا الفلكلور الواسع، من اغان وقصص وملاحم واساطير وحكم وأمثال، إضافة إلى ما يخص العادات والتقاليد من مأكل وملبس... إلخ.

مدعاة للأسف أن هذا الفلكلور الغني لم يترجم إلى اللغات الأخرى ولغات الجوار الكُردي إلا النزر اليسير منه، لذلك يُعدّ هذا الكتاب محاولة من الكاتب لتعريف القارئ العربي ببعض القصص والحكايا التراثية الكُردية، والتي اجاد الكاتب في ترجمتها واختيارها، لأنها تحمل من العبر والمواعظ الكثير.

لذلك، فإن المعهد يرحب بكل ما يُترجم من الفلكلور الكردي، ويعد هذه الخطوة بداية لمشروع كان لا بد من القيام به، الا وهو تعريف المتلقي العربي بفلكلور وتراث الكُرد، حيث الترجمة وسيلة التواصل بين الشعوب، تؤدي إلى التعايش والتناغم بين الحضارات وتقوم بدور الوسيط للتواصل بين ثقافات الشعوب، والقصص المنتقاة في هذه المجموعة، ماهي إلا محاولة في هذا الإتجاه.

إن معهد التراث الكردي، كان سبّاقاً للوصول إلى كل ما يمت لتاريخ الكرد بصلة، لذلك فإن طباعة هذه المجموعة المترجمة من الحكايا الكردية لهو من صلب برامجه.

نترك القارئ العربي مع حكايا أجدادنا الكُرد الذين ساهموا في رُقي وصناعة حضارة بلاد ما بين النهرين وإلى يومنا هذا، على أمل أن تكون هناك مساهمات أخرى من لدن الكتاب في ترجمة هذا الفلكلور وإيصاله إلى كل المتلقين من الشعوب الأخرى.

معهد التراث الكردي

مقدمة

التراث الشعبي عالم واسع متشعب، يضم العديد من الأجناس من قصة واسطورة وملحمة وخرافة وامثال وشعر وغناء وطرفة وامثال واحاجٍ والغاز والعاب.

والقصة الفولكلورية، جنس سردي مهم من التراث الشعبي (الفولكلور) وقد يتمثل في حكايات واقعية واحداث حقيقية جرت في زمن ما، أو في احداث متخيَلة يمكن تصديقها أحياناً، واخرى تدنو من الخرافة وتعد ضرباً من الأمور التي يستحيل حدوثها على أرض الواقع.

في مجتمعنا الكُردي احتلت القصة الشعبية حيزاً مهماً من الذاكرة الجمعية للشعب، خصوصاً في ظل قرون طوال من التبعية والاحتلال وغياب (أو تغييب) الأدب المدون.

لم تكن القصة الشعبية الكُردية مجرد حكايات يقصد بها إزجاء الوقت والاستمتاع بأحداثها الشيقة، إنها مدرسة يتعلم منها الشعب الكثير من القيم والمبادئ المتوارثة جيلاً بعد جيل من شجاعة وحكمة ومحبة وتسامح.

من هنا تكمن أهمية جمع وتوثيق وتبويب هذه القصص من جانب، وترجمتها إلى اللغات الحية الأخرى لكي تعرّف الامم بهذا الشعب الشجاع الأصيل من جهة أخرى، وهذا ما حاولت فعله قدر الإمكان من خلال اختياري وترجمتي لهذه القصص والحكايات.

ماجد الحيدر



حكاية قاطع الطريق رزكين
والشاب الجبان والعجوز الشهم

قبل بضعة أعوام من يومنا هذا، وقريباً من ديار بكر، كان هناك قاطع طريق فاتك جريء يدعى رزكين. روى لنا أحد أفراد عصابته هذه الحكاية عن رئيسه، فقال:

خرجنا يوماً لقطع الطريق، فسرقنا شاةً وجلسنا كي نشويها. كنا أربعين فرداً مع العم رزكو (رزكين). صعد العم رزكو إلى قمة تل وأخذ يراقب السهل بناظوره، فرأى شاباً يهم بعبوره وقد تدلت من كتفه الأيمن بندقية صيدٍ سوداء كعين الريم، وشد على جسمه حزامين من الإطلاقات، واحداً إلى ظهره والثاني إلى صدره، وفي كل منهما خمسون خرطوشة جديدة، وفي قدميه زوج من أحذية ديار بكر الثمينة، متبختراً في طاقمٍ من أفخر الثياب، وكوفية وعقال موصليين وقد وضع يده تحت أذنه وهو يغني بصوتٍ عال وكأنه ملك زمانه!

قال العم رزكو:

– أيها الأتباع. هذا الرجل إما أن يكون بطلاً مقداماً أو غبياً سفيهاً. فليذهب أحدكم لسلبه.

كانت خطتنا تقتضي أن يتقدم فرد واحد نحو من نريد سلبه، على أن يكون خلفه فردٌ آخر لحمايته، وهكذا، مضى إليه واحد منا وصاح به:

– هي هي .. انت، يا من هناك.

– نعم، ماذا هناك؟

– ضع بندقيتك على الأرض. ضع حزامي الرصاص فوقها واخلع حذائيك وطاقمك وعقالك وكوفيتك. واذهب في أمان الله!

– حسناً. وهل أخلع قميصي وسروالي أيضاً!؟

– كلا، هذا يكفي. سنبقيهما عليك!

حمل الرجلان كل ما سلباه من الشاب ووضعاه أمام العم رزكو. وبعد قليل عاد العم رزكو ليتطلع بمنظاره إلى السهل، فرأى رجلاً عجوزاً يسوق حماره على مهل وقد وضع على كتفيه عباءة رثة وحمل سيفاً ودرعاً وهو يحث الحمار ليواصل السير. قال العم رزكو:

– ليذهب احدكم ويسلبه هو الأخر.

تقدم واحد منا وصاح به:

– هي هي .. أنت يا من هناك.

– هي هي.. بالسم النقيع! عمَّ تبحثون هنا مثل الكلاب الشاردة؟!

– لا تطل الكلام. ضع السيف والدرع أرضاً وانجُ بحياتك.

– ومتى وهبتني حضن أمك كي أعطيك مهرها؟!

ألقم رجلنا بندقيته ورفع ماسورتها كي يصوبها نحوه، لكن ذلك العجوز، نعم ذلك العم العجوز، كان أسرع منه، إذ استلَّ سيفه ووثب اليه قبل أن يطلق النار، ففرّ صاحبنا مذعوراً كالريح، والعجوز يجري وراءه، حتى اقتربا من طية في الأرض. ارتمى صاحبنا بيننا، أما العجوز فدنا من راس التلة. هممنا بأن نهجم عليه فمنعنا العم رزكو وصاح به:

– هي هي، أيها العم العجوز تفضل وشاركنا الشواء.

لكن الأخير اجابه بشتيمةٍ مقذعة، فقلنا لرئيسنا:

– يا سيدي دعنا نهاجمه ونقضي عليه فقد هتك أعراضنا.

غير أن العم رزكو أجابنا:

– كلا لن أسمح لكم بذلك.

ثم صاح به ثانية:

– تعال أيها العم العجوز. سألتك بالله وأنبيائه أن تأتي إلينا.

– ها أنا قادم إليكم كي لا يُقال بأنني خفتُ منكم.

وتقدم وفي يده سيفه المسلول، وجلس على ركبتيه قبالة العم رزكو وقال:

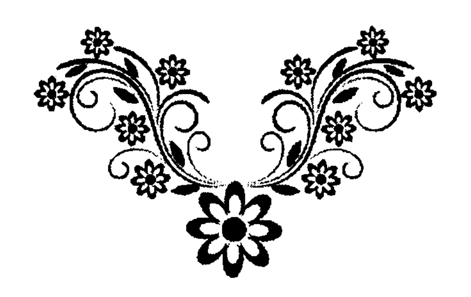
– هيا أخبرني ماذا تريد؟ أنا في عجالة من أمري وأريد أن أواصل المسير.

أجابه العم رزكو:

– تناول الشواء ثم أخبرك.

شرع العجوز بتناول الطعام، وعندما فرغ منه وهبه العم رزكو كل الحاجات التي سلبناها من ذلك الشاب الرعديد، وأضاف اليها خنجراً من عنده وقال له:

- اذهب في طريق السلامة. قد حللت أهلاً. هذه الأشياء حلالٌ عليك. إنها تليق برجلٍ مثلك. مبارك لك!



ومن أحمقُ من المختار؟

يحكى أن رجلاً عجوزاً لم يكن له غير ولد وحيد. كان وافر الغنى، يملك ما لا يحاط به من الأرض والذهب والأنعام. بلغ ولده سن الرجولة لكنه لم يكن قد ذاق طعم الكد والعناء ولا يعرف شيئاً عن الدنيا وأحوالها، فدعاه والده يوماً إلى الجلوس معه والاستماع إليه فقال:

- هذه الدنيا يا ولدي لا بقاء فيها لأحد. عندما اغمض عيني ويسترد الله امانته، اوصيك أن تأخذ حصاني وسيفي ودرعي وتهديها إلى أحمق إنسانٍ تراه!

أجابه الولد:

- واين لي أن اعثر على شخصٍ كهذا؟!

- فتّش عنه وستلقاه.

وكما في الحكايات، مات العجوز بعد مدة، وأقام ابنه مراسم العزاء، ثم تفرق المعزّون كلٌ إلى بيته، فقام واسرج حصان ابيه وشدّ إليه السيف والدرع وربط عنانه إلى عنان فرسه وانطلق في الدنيا الفسيحة.

ومضى من قرية لقرية، ومن ميلٍ لميل، حتى وصل إلى إحدى القرى، فرأى أهلها في هرج ومرجٍ وتطبيل وتزمير، وقد انقسموا إلى فريقين، فريق يحيط برجل يعتلي فرساً يتبختر فوقه والناس يهتفون له ويحيونه، وفريق آخر يحيط برجل أركبوه حماراً بالمقلوب وهم يسخرون منه ويرمونه بالحجارة والأوساخ.

تعجب الولد وتوجه إلى شيخ يستظل بحائط ويدخن غليونه وسأله:

– الا تخبرني يا عماه بما يحدث في هذه القرية؟

– بلى يا ولدي. إننا ننتخب في كل عام مختاراً جديداً لقريتنا فيفرح الناس به ويحتفون. أما المختار الذي انتهت مدته فيركبونه كما ترى حماراً بالمقلوب ويستهزئون به.

– حسناً يا عم. هذا يعني أن هذا المختار الجديد الفرح بمنصبه سيركب بعد سنة على الحمار بالمقلوب وسيفعلون به مثل هذا!

– نعم يا ولدي هذا بالضبط ما سيفعلون به.

عندها قام الولد ووقف قبالة المختار الجديد ووضع في يده لجام حصان أبيه وقال له:

– هذا حصان أبي وسيفه ودرعه هدية لك أيها المختار كما أوصاني أبي.

فسأله المختار:

– ومن أين يعرفني أبوك كي يوصي لي بحصانه؟

– أبي لا يعرفك، لكنه أوصاني أن أهب حصانه لأحمق شخص أقابله. وأنا لم أر من هو أحمق منك!

استشاط المختار غضباً:

– كيف تجرؤ على وصفي بالأحمق؟ انتظر حتى أترجل وأؤدبك!

– لا تطل اللغو. أنت تعلم بأنهم سيفعلون بك بعد سنة ما يفعلونه الآن مع المختار السابق، ورغم هذا فأنت فرح مستبشر. فمن أكثر منك حُمقاً؟ خذ الحصان إذن وفي أمان الله!

من مكرِ النساء

يحكى ان رجلاً اخذ على نفسه ان يدور في الأرض ليبحث عن مكر النساء ويبطله، فحمل زوّادته وعصاه وانطلق في الدنيا الفسيحة. في امسية متأخرة وصل إلى قرية صغيرة وشاهد امرأة حسناء تقف عند احد أبوابها، فقال في نفسه:

– فلأسأل اهل هذا البيت أن يبيتوني الليلة عندهم.

تقدم من المرأة وسلم عليها، فردت بأحسن منه وسألها:

– هل تقبلونني ضيفاً عندكم؟

– الضيف ضيف الله. على الرحب والسعة.

ادخلته المرأة وابدت ترحيبها بمقدمه. وبعد أن اتخذ مجلسه سألها:

– اين زوجكِ؟

– لقد خرج مع قافلة. وماذا عنك يا ضيفنا؟ من اين اتيت وإلى اين تذهب؟

– انا أسيح في الأرض باحثاً عن مكر النساء كي أبطله.

حين سمعت المرأة ذلك تنحّت جانباً وهي تغالب الضحك، وقالت له حللتَ اهلا ونزلتَ سهلاً. ثم قامت وذبحت دجاجة ووضعتها على النار، وعادت لتجلس بقربه، وتدنو منه شيئاً فشيئاً، حتى اضطرته إلى الالتصاق بالجدار، ودار في خلده أنها وقعت في غرامه وتطلب وصاله.

فجأةً، سمعا أصواتا تنبئ بمقدم الزوج. وكما يقول المثل الكردي: إذا صاح أحدهم "بشت" هربت القطة السارقة، اضطرب الرجل واصفر لونه وانتصب على قدميه وقال لها:

- ما العمل؟ سيقتلني زوجكِ إن رآني.

قالت له: لا تخف.

وسارعت بإخفائه في صندوق كبير، وقامت إلى الباب لاستقبال زوجها ومساعدته في إنزال أحماله، ثم دخلا البيت، فرأى الزوج الدجاجة الشهية وقال لها:

- يبدو أن إحدى دجاجاتك مرضت فسارعتِ لذبحها في هذا الوقت.

- كلا يا زوجي العزيز. لقد نزل علينا ضيف فرحبت به وأعددت له هذا العشاء، لكن تبين أنه رجل قليل الأدب، فما أن علم بغيابك حتى تحرش بي ودنا مني وحاصرني عند الجدار، وعندما سمع صوتك سارع بإلقاء نفسه في ذلك الصندوق.

أخذ الرجل يرتعد من الخوف في مخبئه، وقام الزوج غاضباً ليفتح الصندوق، لكن الزوجة أمسكت يده وقالت له:

- ماذا تفعل؟ انتظر لأكمل كلامي.
- وماذا بقي من كلام؟
- حسناً، بعد أن تناهى لي صوتك فززتُ من نومي و...
- هل كان حُلماً إذن؟
- طبعاً كان حُلماً، وماذا ظننت؟

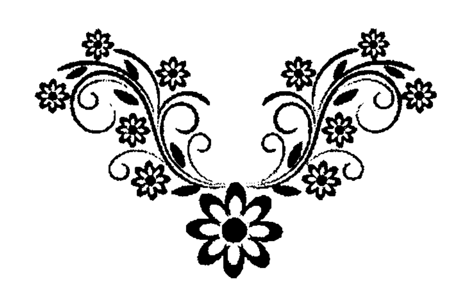
تنفس الضيف الصعداء، وجلس الزوجان لتناول الطعام، ثم ارتفع صوت المؤذن لصلاة العشاء، فقالت الزوجة:

- قُم لتذهب إلى المسجد وتصلي فيه جماعة.
- انا متعبٌ للغاية، سأصلي في البيت.
- كلا، الصلاة في المسجد اكثر اجراً.

وافقها زوجها، وما أن خرج حتى فتحت المراة الصندوق وسألت الرجل ساخرة:

- ها. أما زلت تبحث عن مكر النساء؟ هل نجحت في إبطاله؟

لم ينبس المسكين ببنت شفة، بل سارع إلى لبس حذائه ومغادرة القرية في جنح الظلام وقد اقسم الا يعاود الكَرّة ويبحث عن مكر النساء مرة أخرى!



ما تفعله بيُمناك تتلقاه بيُسراك

يُحكى أن رجلاً محكوماً بالإعدام فر من يد الشرطة وافلت منهم وهم ينقلونه إلى مكان تنفيذ الحكم، فشعروا بالخوف من رؤسائهم واتفقوا على خطة لإنقاذ انفسهم، فأمسكوا برجل في مثل عمره صادف أن مرّ من أمامهم وقالوا له:

– أين تفر منا أيها المجرم؟ تعال معنا وقدنا إلى بيتك.

إنصاع الرجل ودلّهم على بيته، فاقتحموه، ثم امروه بأن يجلب لهم كل أوراقه وأوراق أسرته ومستمسكاتهم الثبوتية، فجاءهم بها، فجمعوها واحرقوها أمام عينيه، ثم ساقوه إلى المحكمة.

عندما قرأ القاضي الذي كُلّف بتنفيذ الحكم اسم المُدان، دفعوا إليه الرجل فسأله:

– هل أنتَ فُلان ابن فُلان؟

– كلا يا سيدي.

فتدخلت الشرطة وصاحوا معاً:

– بلى يا سيدي أنه هو وقد هرب منا وامسكناه ثانية.

عندها سأله القاضي:

– وأين الأوراق التي تثبت ادعاءك؟

– لقد اقتحم هؤلاء الشرطة بيتي وأخذوا كل أوراقي وأوراق أسرتي وأضرموا فيها النار وجاؤوا بي إليك، وإن كنت لا تصدقني يا سيدي فأرسل في طلب جيراني واسألهم عن إسمي.

فهم القاضي وأدرك أن ثمة شيء غريب، فأمر الشرطة بالخروج، ودعا الرجل إلى الاقتراب منه وقال له:

– اسمع يا هذا. يبدو لي أنك ارتكبت في حياتك إثماً كبيراً ولهذا وقعت في هذه المحنة. فكّر ملياً وقل لي، أي عدوان أقدمتَ عليه وبحق من؟

فكر الرجل واستعرض تاريخ حياته، ثم قال:

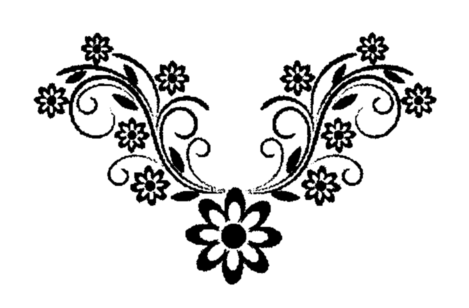
– نعم يا سيدي تذكرت: كنت في شبابي أعمل نوتياً على زورق لي، وأذهب من الصباح الباكر إلى النهر لأنقل الناس من ضفة لأخرى وأعود عند الغروب لأربط زورقي وأذهب إلى البيت. وفي أحد الأماسي عندما انتهيت من عملي وربطت زورقي، أبصرت امرأة تركض نحوي وهي تمسك بصبي في يدها وبرضيع فوق صدرها وتستنجد بي وتقول: نشدتكَ اللهَ أن تعبر بي إلى الجانب الآخر قبل أن يقتلوني. ففكت الحبل وأركبتهم في الزورق ومضيت به في الماء. لكن حين تنصفنا النهر لعب الشيطان برأسي واشتهيت تلك المرأة، وراودتها عن نفسي فأبت وقالت: لا تدنُ مني وإلا ألقيت بولدي هذا في الماء. لكنني لم أصدق أنها يمكن أن تقدم على عمل كهذا ودنوت منها، فألقت بابنها في الماء. غير أنني لم أرتدع ودنوت منها ثانية، فألقت طفلها الثاني في الماء، فجن جنوني وهجمت عليها مرة ثالثة،

فرمت نفسها في النهر وابتلعتها الأمواج. وعندها عدت بزورقي إلى الشاطئ وربطته وعدتُ إلى بيتي. نعم يا سيدي، هذا ما حدث يومها دون زيادة أو نقصان.

عندها صاح القاضي في غضب:

– وماذا تريد أن تزيد أيها المجرم الحقير؟! لا أحد يستحق الشنق مثلك!

ثم نادى على الشرطة وامرهم بأن يأخذوه ويشنقوه.



لا تأمن لامرأة، ولا لرجل حكومة

استدعى شيخٌ طريح الفراش ولده الوحيد وقال له:

– تعال يا بني كي اعطيك نصيحة ثمينة شريطة ان تلتزم بها.

أجابه الولد:

– قُل يا ابي.

– هذه الدنيا فانية، وربما رحلتُ عنها غداً، فخذ عني يا ولدي ألّا تأمن لامراة ولا لرجل حكومة.

سرعان ما مات الرجل تاركاً لابنه كل ثروته. مضت أيام الحداد واخذ الابن يفكر بنصيحة ابيه ومغزاها وقال في نفسه:

– ترى لماذا اوصاني ابي بهذا؟ عليَّ أن اتحقق من الأمر.

ثم قام من فوره، فاشترى خروفاً وأخذه إلى الفرّان وطلب منه ان يذبحه ويحشوه ويشويه على ان يعود ليأخذه بعد صلاة العشاء. ثم ذهب إلى النجار وطلب منه أن يصنع له تابوتاً متوسط الحجم، واوصاه الا يغلق دكانه حتى يأتي بعد العشاء ويأخذه. وعندما حل الموعد أخذ الخروف ولفه بقطعة من القماش الأبيض، وذهب إلى النجار واستلم التابوت ووضع فيه الخروف وحمله على كاهله في ظلمة الليل وتوجه نحو منزله. تفاجأت زوجته بمرآه وهو يحمل التابوت، فسألته مستغربة:

– ما هذا يا زوجي العزيز ؟!

– اسكتي يا حرمة. لقد قتلت رجلاً وسينكشف أمري إذا دفنته اينما كان، ولهذا سندفنه في باحة البيت ولا من شاف ولا من درى! انا وانتِ ستر وغطاء لبعضنا، ولزام علينا أن نحافظ على أسرارنا. اليس كذلك يا بنت الناس؟

– بلى يا فلان، وكيف لا؟ إذا انا لم أستر عليك فمن يفعل؟ اسرع واحفر وسط البيت قبل ان يأتينا احد.

وهكذا دفن الرجل تابوته وسط المنزل، وجلس ليستريح قليلاً وهو يتوق لمعرفة النتيجة قبل أن يفسد الخروف ويتغير طعمه، فما كان منه إلا أن افتعل مشادة مع زوجته، ثم نزل عليها صفعاً وضرباً بالعصا، فارتفع عويلها وفرّت من المنزل وهي تطلب النجدة وتصيح:

– أيها الجيران، لقد قتل زوجي شخصاً ودفنه في باحة البيت.

ولم تفرغ من كلامها حتى تجمع الجيران من حولها. ولأن الدنيا لا تخلو يوماً من الفضوليين والمشاغبين، فقد تسلل واحد من الجيران المحبين للفتن من بين الجمع وتوجه إلى سراي الحكومة ونقل لهم كل ما سمع. كل رجال الحكومة أصدقاء لبطل حكايتنا، ولم يكن ليمضي عليهم يوم دون أن يكرمهم ويستضيفهم ويطعمهم من خبزه، لكنهم تناسوا كل ذاك وحملوا بنادقهم وهرعوا إلى بيته، وطلبوا من المرأة أن تدلهم على مكان دفن القتيل، فأرشدتهم إليه وأخذوا يحفرون حتى أخرجوا التابوت، فأمر ضابط الشرطة أتباعه بأن يوثقوا الرجل ويأخذوه إلى السراي حتى يأتيهم ويقرر ما يفعل بشأنه.

لكن صاحبنا انبرى لهم قائلاً:

- علام تلقون القبض عليّ؟ الا يجدر بكم اولاً ان تعرفوا ما في التابوت؟

عندها أمر الضابط بفتحه، فلم يجدوا بداخله غير الخروف المحمر المحشي الملفوف بقطعة القماش الأبيض ورائحة الشواء والبهار الشهية تفوح منه، فشمروا عن أردانهم وتجهزوا لالتهامه. غير انه نهرهم وصاح فيهم:

- إياكم ولمسه! لطالما جلستم إلى مائدتي وأكلتم من خبزي، لكنكم نسيتم كل هذا واردتم أن تزجوا بي في السجن دون جناية بيّنة. قوموا واذهبوا إلى اشغالكم. قد صدقت وصية ابي.

فسأله رجال الشرطة:

- وما كانت وصيته؟

- قال لي ابي "لا تأمن لإمراة ولا لرجل حكومة" وها قد جربتهما وصدقت نصيحته.

كلام الكبار صحيح علي الدوام، أليس كذلك!؟

قد يفلت المجرم ويُبتلى البريء

دعا أحد التجار ثلاثة من أصحابه- وكانوا تجاراً مثله- إلى بيته كي يتحاسبوا ويفضّوا شراكتهم، لكن الخلاف دبَّ بينهم، فأقدم التاجر في فورة غضبه على قتل رفاقه الثلاثة، وعندما أحس بورطته فكر طويلاً في طريقة للنجاة بنفسه، فتوجه نحو السوق واتفق مع حمّال عجوز على أن ينفحه مبلغاً كبيراً من المال مقابل خدمةٍ يؤديها له شريطة ألا يخبر أحداً بما يدور بينهما.

وافق الحمّال واتفق مع التاجر على أن يأتي إلى بيته قبيل منتصف الليل، وهكذا فعل الحمّال، وجاء في موعده وطرق الباب، فما كان من التاجر إلا أن حمل أحد القتلى إلى غرفة الضيوف ثم فتح الباب وأدخل الحمّال إلى الغرفة. قال الحمّال:

- ها قد جئتُ يا سيدي في الموعد المحدد، فما هي المهمة السرية التي تريد أن توكلها لي؟

- هذا الرجل الممدد أمامك تاجر غريب، دعوته إلى الغداء في بيتي فغص بالطعام واختنق ومات وإني لأخشى أن أبلغ الشرطة فيتهمونني بقتله. أريدك أن تحمله على ظهرك حتى منتصف الجسر وترميه في النهر، ولكن حذارِ من أن يغافلك ويرجع! هذا أولاً، وأما ثانياً، فأريدك أن تكتم السر ولا يعلم أحد بما دار بيننا إلى أبد الآبدين!

- وهل انا طفلٌ صغير يا سيدي حتى اخبر الناس؟ هذا أولاً، اما ثانياً فكن واثقاً من انني سألقيه في اعمق دوامة في النهر وليرجع بعدها إن استطاع!

ولم ينتهيا من حديثهما هذا حتى كان الليل قد انتصف وحل الصمت والظلام في المدينة، فشدَّ الحمّال الجثة إلى ظهره ومضى نحو النهر وتوقف في منتصف الجسر فوق دوامة سريعة والقى الجثة فيها، فتلقفته الأمواج وغاصت في الأعماق. استدار الحمّال عائداً إلى بيت التاجر، لكنه فوجئ برجلٍ ثانٍ ممددٍ في الحجرة فصاح:

- يا ويلي، من هذا؟!

- الم أقل لك حاذر لئلا يغافلك ويرجع؟

لم ينبس الحمّال ببنت شفة، وشد القتيل الثاني إلى ظهره وفعل به مثلما فعل بالأول وظل يراقبه حتى اختفى عن ناظريه، وعاد إلى بيت التاجر. غير ان الدهشة عقدت لسانه حين رأى القتيل الثالث ممداً في نفس الغرفة وصاح:

- يا إلهي ما هذا؟ اقسم بأنني القيته كلا المرتين في اعماق النهر ولم ابرح المكان حتى غرق وشبع غرقاً.

تظاهر التاجر بالغضب وقال:

- يا أخي العزيز. إن لم تكن قادراً على هذا العمل فاتركه ودعني ابحث عن رجل غيرك. هذه المرة الثانية التي تأخذه فيها ويعود.

خذه واحمله للمرة الأخيرة وإذا ما عاد مجدداً فاذهب إلى بيتك لأفتش أنا عن طريقة أخرى.

رفع الحمّال الجثة الثالثة وتوجه نحو النهر للمرة الثالثة وهو يحدث نفسه قائلاً:

- قسماً بالله العظيم، لن أبرح الجسر هذه المرة حتى أغسل يدي من عودتك. قسماً لئن عدت لقطعتك إرباً إرباً بخنجري هذا ولأذهب بذنبك إلى الجحيم!

وعندما وصل منتصف الجسر حل الجثة عن ظهره وألقاها في دوامة النهر. مع صوت ارتطامها بالماء برز رجل عارٍ من تحت الجسر وأخذ يركض خائفاً، لم يكن غير عابرٍ جاء للاستحمام استعداداً لصلاة الفجر، لكن الحمّال تخيل أنه القتيل وقد خرج من النهر قاصداً بيت التاجر، فاستل خنجره وركض خلفه من زقاق لزقاق حتى حاصره وأمسك بخناقه وأرداه قتيلاً، ثم حمله ورماه في النهر وعاد إلى التاجر الذي لاقاه مرحّباً وقال:

- سلمت يداك، لم يرجع هذه المرة.

- بلى وروح أبيك. قد خرج فعلاً من الماء وتوجه عارياً نحو بيتك، لكنني سبقته وطعنته بخنجري حتى أجهزت عليه ثم ألقيته في النهر من جديد.

لم يعلّق التاجر على كلامه بل شكره وأعطاه المبلغ الذي اتفقا عليه، وهكذا تخلص من الجثث الثلاث وضاع الرابع بين الرجلين!

سِرّي سينكشف، ولو بحُباب المطر

يُحكى أن صديقين غادرا قريتهما للعمل في إحدى المدن، فاجتهدا وكدحا طوال عام كامل حتى جمعا مبلغاً لا بأس به من المال، وقررا العودة من حيث أتيا، فاشتريا بعضاً من الهدايا وأغراض البيت وانطلقا ماشيين إلى قريتهما الجبلية. في منتصف الطريق تسلل الشر إلى قلب أحدهما وزُيِّن لهُ أن يقتل صديقه ويستولي على نقوده، فالتفت نحوه وقال:

- اعذرني يا صاحبي. لسوف أقتلك!

فسأله صديقه:

- وعلام تقتلني يا أخي!؟ ألسنا صديقين؟ إن كان لأجل المال فهاك نصف ما عندي ولنفترض أنك عملت أكثر مني.

- حسناً إذن.

بعد قليل عاد ليقول:

- والله يا صاحبي، إما أن تعطيني كل نقودك أو أقتلك!

فأجابه صاحبه:

- لا بأس يا أخي، هاك نقودي كلها ولكن لا تقتلني.

وناوله كل ما معه وعاودا السير. بعد قليل، فكر الأول وقال لنفسه:

– حسناً. لنفترض اننا وصلنا إلى قريتنا وسأله اهله أين ما جنيت من عملك؟ وألحوا عليه حتى افشى لهم ما جرى بيننا. كلا.. سأقتله. وإذا سألوني عنه، سأقول إننا كنا معاً حتى وصلنا المدينة ثم تفرقنا ولم اره بعدها.

وهكذا استدار نحوه للمرة الأخيرة وقال:

– لا فائدة. لا بد من قتلك!

توسل إليه صاحبه واستحلفه بحق الأخوة والصداقة، لكنه أصرّ على تنفيذ جريمته وقال:

– لا تطل الكلام! سأقتلك يعني سأقتلك!

– لا تفعل يا هذا. لا شيء يضيع، وجريمتك لا بد أن تنكشف وتنال عقابك.

– ومن سيكشفها؟ انا وانت لوحدنا في هذه البرية الخالية وما من رائح ولا غاد. سأقتلك وادفنك واكوّم الحجارة فوق جسدك وينتهي كل شيء.

– بلى سوف ينكشف سري حتى ولو بحُباب مطر الربيع!

– سوف اقتلك. وليأت حباب الربيع ويكشف سرك!

وهجم عليه وارداه قتيلاً، ثم دفنه ومضى إلى قريته، فاستقبله أهلها وجاءه اهل صديقه يسألونه عن فتاهم، فأجابهم:

– لقد كنا معاً حتى وصلنا المدينة ثم تفرقنا ولم اسمع عنه بعدها أو اراه.

ثم قصد بيته، ففرح به أهله وعاشوا في هناء.

مضت أيام وجاءت أيام. وانقضى الشتاء القاسي، واستيقظ الربيع من رقاده وأخذ يغسل الأرض بأمطاره. في أحد الأيام نزل المطر مدراراً وتجمع الماء في بركة بباحة البيت، وأخذ حباب المطر يعلو سطح الماء، فوقف صاحبنا وقد وضع يديه على عارضتي الباب وهو يتأمل المنظر، وتذكر كلام صديقه فضحك دون إرادته. في تلك اللحظة بالذات وقعت عليه عين زوجته وسألته عن سبب ضحكه فأجابها:

- لا شيء.
- المجانين فقط يضحكون دون سبب. لا بد أن تخبرني بسبب ضحكك!

وبقيت مصرّة رغم محاولته التملص من الإجابة حتى وصلت إلى تهديده بالفراق، فرضخ لها وقصّ عليها الحكاية من أولها إلى آخرها ورجاها ألا تخبر أحداً، فأقسمت على ذلك.

مضت الأيام والشهور، وحدث أن تشاجر الرجل مع زوجته وضربها ضرباً مبرحاً وطردها من البيت، فخرجت إلى الزقاق وهي تبكي وتولول وتحدث الناس بما فعله زوجها بصديقه. عندما سمع أهل القرية بذلك تجمعوا حوله وضربوه حتى أقر بجريمته، وأرشدهم إلى موضع القبر، فقتلوه في المكان ونال جزاءه العادل.

حلم الحاكم

يُحكى أن حاكماً رأى حلماً مزعجاً وغريباً، فأعلن عن جائزة مقدارها كيس من الذهب لمن يحزر مضمون حلمه. تزاحم الناس على ديوان الحاكم وكل منهم يقول شيئاً، لكن الأيام مضت دون أن يصل أحد إلى الجواب الصحيح.

لم يبق إلا شيخ عجوز يسكن إحدى القرى القريبة، فقالت له زوجته:

– لمَ لا تذهب إلى ديوان الحاكم وتدلي برأيك؟ لن تخسر شيئاً. ربما صح كلامك وحصلت على كيس الذهب.

– كلامك صحيح يا امرأة. وما الذي سأخسره؟ سأذهب اليه!

وضع الشيخ حقيبته على كتفه وعصاه في يده وقصد المدينة، فلاقاه ثعبان في الطريق وقال له:

– إلى أين تذهب أيها الشيخ؟

– ذاهب إلى الحاكم عسى أن يفتح الله عليَّ بشيء.

ثم قص عليه حكاية الحاكم وحلمه، فقال له الثعبان:

– سأقول لك بماذا حلم لكن شريطة أن تمر من هنا في طريق عودتك وتتناصف معي الذهب.

– حسناً... اتفقنا.

– قل له لقد رأيتَ السماء تمطر دماً.

دخل العجوز على الحاكم وقال له:

- انا اعرف بماذا حلمت يا سيدي، لقد رأيت السماء تمطر دماً.

- صدقت يا هذا ! امنحوا الشيخ كيساً من الذهب.

حمل الشيخ ذهبه وتوجه إلى البيت، لكن الطمع تمكن من قلبه فحمل حجراً وقذف به الثعبان قاصداً قتله والتفرد بالذهب. لكن الثعبان فر منه ودخل إلى جحره.

مرّ عامٌ كامل، ورأى الحاكم حلماً غريباً آخر، فانتابه الفزع وأعلن على الناس أن من يعرف مضمون حلمه سينال كيسين من الذهب.

جاء ناس، وذهب ناس، ولم يتوصل أحد إلى الجواب. سمع الشيخ بالأمر وتوجه إلى ثعبانه طالباً العفو والسماح، فقال له الثعبان:

- سأخبرك بحلم الحاكم، لكن لا تفعل كما في المرة السابقة. ستأخذ كيساً وتعطيني الثاني.

- حسناً... ليكن كما تقول.

- اذهب إلى الحاكم وقل له قد رأيت السماء تمطر ثعالباً!

أسرع الشيخ إلى الحاكم وقال له:

- يا سيدي، قد رأيتَ السماءَ تمطر ثعالباً!

دهش الحاكم وقال:

- صدقت بحق السماء! أعطوا العجوز كيسين من الذهب.

فرح الشيخ بالجائزة، وحملها ومضى إلى بيته دون أن يمر بالثعبان.

ولم يمض عام حتى رأى الحاكم حلماً ثالثاً، فأرسل مناديه ليعلن على الناس بأن من يعرف حلمه سينيله ثلاثة اكياس من الذهب.

وعجز أهل المدينة كما في المرتين السابقتين، ثم وصل الخبر إلى الشيخ وقصد الثعبان، فقال له الأخير:

– سأخبرك هذه المرة أيضاً ولكن إياك أن تخدعني. اذهب وقل له قد رأيتَ السماء تمطر أغناماً ناصعة البياض.

ذهب الشيخ إلى الحاكم وحدثه بمضمون حلمه، فأمر له بثلاثة أكياس من الذهب. حمل الشيخ أكياسه وتوجه نحو الثعبان وهو يقول لنفسه:

– لا يرضى الله بأن يخبرني الثعبان بكل هذه الأمور واستأثر أنا بكل هذا الذهب. لقد أخذت ثلاثة أكياس ولسوف تكون هذه الثلاثة من نصيبه.

وعندما وصل إليه خاطبه قائلاً:

– يا صديقي العزيز، أنا أخذت ثلاثة أكياس وهذه الثلاثة لك.

ضحك الثعبان وقال:

– لن أخفي عليك، في السنة الأولى عندما أمطرت السماء دماً، كان الأخ يقتل أخاه والابن يعادي أباه. كانت تلك سنة القتل ولهذا حاولت اغتيالي. في السنة الثانية عندما رأى الحاكم السماء تمطر ثعالباً، كانت سنة المكر والخداع، ولهذا تجنبت المرور بي. أما هذه السنة فقد أمطرت خرافاً بيضاء في نقاء الثلج، فهي سنة الأمانة والصدق والتسامح، ولهذا جئتني وقلت لي هذه حصتك. اذهب رافقتك السلامة وخذ الأكياس معك. وماذا يستفيد ثعبان مثلي من الذهب؟!

حكاية شاقولي، الأخرق العاثر الحظ

يُحكى أن رجلاً يُدعى "شاقولي" عاش في إحدى القرى. كان فقيراً معدماً لا زوجة له ولا أطفال، ولهذا تراه يدور على القرى ويمكث ضيفاً على إحداها بضعة أيام ثم يغادرها إلى غيرها، حتى غدا معروفاً بين أهل المنطقة.

في مغرب يومٍ ما، حلّ شاقولي ضيفاً على واحدة من تلك القرى وقصد بيت صديق له. رحبت به سيدة البيت وقالت له:

- يا شاقولي. لقد وضعتُ قدراً من "كبة الحامض" على النار وسأذهب إلى العين كي أحضر جرة من الماء. انتبه إلى القدر وأبعد عنه الدجاج ريثما أعود. صديقك لن يتأخر في الرجوع من الحقل.

خرجت المراة، فيما جلس شاقولي بعيداً يراقب القدر الذي سرعان ما تجمع الدجاج من حوله. صاح عليها مراراً لإبعادها "كش، كش، اقول لكنّ كش!" لكن دون جدوى، فما كان منه إلا أن التقط حجراً من الأرض ورماه نحوها. لكن الحجر سقط على جرة الدبس، فأحدث فيها ثقباً راح الدبس يسيل منه. ركض شاقولي إلى الجرة ووضع إصبعه في الثقب، ثم نظر من حوله، فأبصر خرقة قماش في متناول يده الثانية فسحبها ليسد بها الثقب دون أن يعلم أن تلك الخرقة كانت تسد فم زير الدخن، فإذا بالدخن ينساب منه إلى الأرض ويختلط بالدبس. ارتبك شاقولي وتخبط، فاصطدمت

رجله بقدر الكبة وانقلبت هي الأخرى واختلطت بالدبس والدخن، فجلس المسكين حائراً لا يعرف ما يفعل.

في تلك الأثناء عادت المراة ورات شاقولي على تلك الحال، فقالت: ماذا جرى؟ فأجابها: ماذا اقول؟ الحال كما ترين. لكنها سكّنت من روعه وقالت: لا عليك، كلها فداء لك. وقامت بتنظيف المكان وترتيبه، ولم يلبث الزوج أن عاد من الحقل، فقال لها:

- يبدو أن لدينا ضيفاً

- نعم والله إنه شاقولي.

فرح الزوج بضيفه ورحب به وأعدت الزوجة ما قُسم لهم من عشاء. وفي ساعة متأخرة من الليل قال له صاحب البيت:

- اعذرني يا صديقي. ثورنا مريض وقد حل وقت مناوبتي في السهر عليه.

- أنت متعب يا صديقي. اذهب للنوم وسأقوم انا بنوبتك.

شكره الرجل وذهب إلى فراشه، وبقي شاقولي صاحياً وهو يلهو بشحذ خنجره، ويدخل بين الفينة والأخرى إلى الزريبة ويلقي نظرة على الثور ليطمئن عليه، لكنه وقبيل الفجر دفع باب الزريبة فأبى أن يُفتح، فقال في نفسه:

- لقد سقط الثور وراء الباب ولا بد إنه يحتضر. فلأسرع بذبحه قبل أن ينفق.

واستل خنجره ومد يديه من فسحة الباب حتى استطاع أن يصل إلى رقبته، وذبحه ثم غسل يديه وذهب إلى فراشه.

عندما حل الصباح ناداه صاحب الدار:

– انهض يا صديقي. ماذا حلّ بالثور؟

– لقد سقط الليلة الماضية وراء باب الزريبة وكاد أن ينفق لولا انني نجحت بذبحه وإحلال لحمه في اللحظة الأخيرة.

لكن الدهشة عقدت لسانيهما عندما دخلا إلى الزريبة وشاهدا الحمار مذبوحاً والثور نافقاً. أما شاقولي فقد ود لو أن الأرض انشقت وابتلعته. غير أن صديقه طيب خاطره وقال له:

– لا عليك يا أخي. يبدو أن الله لم يكتب لنا نصيباً فيهما.

ثم تناولا فطوراً بسيطاً، وقام صاحب الدار وشد البردعة إلى ظهر بغلته وحمل المنجل والفؤوس، فسأله شاقولي عما ينوي فعله؟ فأجاب بأنه يريد الذهاب إلى الجبل لجمع الحطب، فقال له شاقولي:

– لا والله لن تذهب. انا سأقوم بهذا العمل عنك.

وامتطى البغلة وتوجه نحو الجبل، وهناك ربط البغلة في الوادي وتسلق المنحدر، وشرع بقطع الأغصان حتى جمع كومة من الحطب، فربطها ووضعها على الأرض، ونزل إلى الوادي ليأتي بالبغلة، فإذا به يفاجأ بأن الذئاب قد افترستها، فصار يضرب بجمع كفه على راسه ويقول:

- يا ويلتي. ماذا فعلتُ بهذا الرجل الطيب؟! خيرٌ لي أن اذهب وأرمي البردعة والمنجل والفؤوس في باحة بيته واهرب من هذه القرية ولا أريهم وجهي ثانية.

وحمل البردعة والمنجل والفؤوس، وعاد إلى بيت صاحبه وقد قرر أن يصعد إلى السطح ويرميها من هناك إلى الباحة دون أن يروه. وهكذا ارتقى السطح وألقى البردعة، لكن حبلها التف برقبته فتعثر وهوى إلى الباحة ليسقط تماماً على رأس المرأة المسكينة التي أسلمت الروح في الحال!

ركض الرجل إلى الباحة فرأى زوجته ميتة دون حراك، وصاح يا ويلتاه ماذا حدث؟ فقص له شاقولي الحكاية. أخذ الرجل يبكي ويندب خسرانه كل شيء، ثم التفت إلى شاقولي وقال له:

- ها قد جعلتني مثلك، لا مال ولا عيال. ارحل من هنا، لا أراني الله وجهك!

حكاية الشيخ سليمان "أبو رجل الجرس"

يحكى أن رجلاً مغامراً اسمه سليمان كان يعيش بين ظهراني عشائر زيباري. ولأنه اتخذ السلب والنهب مهنة، فقد أُلقي القبض عليه وزجّ في السجن. وعندما أطلق سراحه من السجن فكر ملياً وقال لنفسه:

– حسناً سأفعل اذا سافرت إلى بغداد ولازمت قبر الغوث[1]. سأمكث هناك زمناً واعلن توبتي وارد اعتباري، ولن يشك بي أحد بعدها إذا ما عاودت السرقة!

لبس سليمان ثياب الدراويش وعلق في رقبته الدفّ والكشكول[2]، ومضى صوب بغداد حتى وصل مزار الكيلاني، واقتعد مكاناً هناك ولزم العبادة ليل نهار دون أن يبرح المسجد للحظة واحدة، حتى صار زوار الغوث يضعون ثقتهم فيه ويظنونه عابداً تقياً، وعندما سألوه عن اسمه أجابهم:

– اسمي سليمان، درويش حقير على باب الله!

فاستنكر الناس منه ذلك وقالوا:

---

١. الغوث البغدادي هو لقب الشيخ الصوفي عبد القادر الكيلاني المدفون وسط بغداد.

٢. الكشكول وعاء يجمع فيه الفقراء والدراويش ما يجود به الناس عليهم من أطعمة مختلفة.

– نستغفر الله. كيف تقول هذا؟ بل أنت الشيخ سليمان، تاج رؤوسنا جميعاً!

وغدا الناس يطلبون بركته ويسألونه زيارتهم:

– إنّا لنرجو من ذاتكم المباركة الشريفة أن تتنازل بالخروج بين الحين والآخر كي يتبارك الجميع بفيض وجودكم المسعود العالي المقام!

فيرد عليهم:

– لا أستحق أنا العبد المذنب كرمكم هذا. ثم إن عندي، لو سمحتم، سبباً آخر يمنعني من الخروج.

– خيراً يا مولانا.

– ثمة على الدروب المحيطة كثير من الناس، وإني أخاف الله أن تقع قدمي على رأس مسكين راقد على قارعة الطريق فأكون سبباً في هلاكه ومضاعفة ذنوبي.

بيد أن عذره هذا جعل الناس يزدادون تعلقاً به وإيماناً فأجابوه:

– كلا، لا مناص من تشريفك لنا في بيوتنا حتى لو حملناك على ظهورنا.

– وأنا لا أرضى باعتلاء ظهر أحد، لكن إن كان لزاماً أن أستجيب لدعواتكم الكريمة فاجلبوا لي زوجاً من الأجراس أخيطهما إلى نعليَّ كي ينتبه الناس لصوتهما ويفسحان لي الطريق حتى لا أدوس على رؤوسهم.

فصاح الجميع:

- سبحان الله! يا لها من فكرة عظيمة!

لا اطيل عليكم. شدّوا جرسين إلى نعليه كما أراد، ولم يعد يمر يوم إلا ودعاه واحد من أكابر بغداد وأغنيائها إلى بيته. وذاعت شهرته في المدينة وصار يُعرَف بالشيخ سليمان "ابو رجل الجرس" وتحلق من حوله المريدون والأتباع. وعندما توثق من إيمان الناس به واستبعادهم لأية شكوك حوله، قال لبعض من عليّة القوم:

- أفكر بأن ابني لنفسي بيتاً خارج المدينة اقيم فيه برفقة بعض الدراويش كي نتفرغ للعبادة وذكر الله. الزحام هنا على اشده وهو يربك الفكر ويشغل القلوب ويلهيها عن ذكر الرحمن، فما رايكم؟

- على الرأس والعين. أرواحنا وأموالنا بأمرة حضرة الشيخ!

وشادوا له بيتاً كبيراً اقام فيه مع عدد من اتباعه "الدراويش" الذين يثق بهم ويعرفهم تمام المعرفة بعد أن اطلعهم على ما يدور في راسه. وهكذا قادهم ذات يوم إلى مرقد الغوث بحجة زيارة الضريح. وباتوا ليلتهم فيه، ثم حفروا الأرض تحت جدار خزانة المرقد وتسللوا إليها وأخرجوا منها قرابة مليون ليرة من الذهب وما لا يحصى من الجواهر، ثم عادوا إلى بيتهم بعد أن مكثوا ليومين عند الضريح.

احتفظ الشيخ سليمان بكومة كبيرة من الجواهر والذهب وقال للآخرين:

- ليأخذ كلٌ منكم حصته. وخذوا ما لا تستطيعون حمله الآن إلى مكان بعيد واخفوه جيداً في حفرة معلومة كي تعودوا اليه

وتستخرجوه بعد زمان. اما الآن فمن الأفضل أن نتفرق ويرجع كلٌ إلى بلاده قبل أن يحيط بنا العساكر ونقع في أيدي الحكومة.

قام الدراويش وتفرقوا، وبعد أيام اكتشف حفظة خزينة الغوث امر السرقة، فأبلغوا الحكومة، ولكن بعد فوات الأوان. ومن يعرف اين ذهبوا؟ قد تفرقوا مثل الذئاب بين الشعاب والجبال والوديان! أما الشيخ سليمان فقد رجع إلى بلده واستقر وتاب واشترى اراضي وعقاراتٍ وماشيةً واغناماً كثيرة، وصار بين عشية وضحاها من كبار الأغنياء، ومازال بعض من ذريته يعيشون في تلك الأرجاء، ومنهم من يُعَدّ من اكابر القوم واثريائهم.

ظل سليمان يتقلب في النعيم والغنى ولم يكن احد ليجرؤ على التعرض له او لأسرته ما دامت الحكومة لا تصل إلى تلك الأصقاع النائية، لكن البعض ممن يعرف القصة وما فيها كان يعاتبه أحياناً ويقول له:

– خرّب الله بيتك! يوماً ما سينزل بك الغوث البغدادي غضبه جزاء ما اقترفت من ذنبٍ عظيم.

لكنه يجيب دونما اكتراث:

– ولماذا؟ لقد اسديت له معروفاً كبيراً، فالأحياء أحوج إلى المال من الأموات! لو إنه غوث بحق فلن يقدم على إيذائي لأنني تبت عن السرقة بسبب المال الذي اخذته منه. اما إذا كان كاذباً فلن يقدر على إصابتي بأذى، وعندها ما من سبب يدعوني لأن اخشاه!

حكاية الثعلب والسلحفاة

من دفاتر جكرخوين[1]

ذات مرة اجتمع الثعلب والسلحفاة، وقررا أن يتعاونا على زراعة الحقل بالحبوب. وحدث أن الغلّة كانت وفيرة تلك السنة. وعندما جاء الوقت لتقاسم المحصول جلسا معاً وقالا:

- كيف نتقاسم محصولنا هذا العام؟

قال الثعلب:

- فلنقسمه إلى كومتين ونتسابق في الركض عبر الوادي ومن يصل قبلاً يختر حصته كما يشاء.

ادركت السلحفاة ما يدور في خلد الثعلب، لكنها أجابت:

- حسناً يا اخي. ليكن الأمر كما تقول.

عند المساء عاد الثعلب إلى بيته فرِحاً مستبشراً ونادى زوجته:

- تعالي يا زوجتي. أتعرفين ما فعلتُ؟ لقد صار البيدر كله لنا.

---

[1]. شاعر كردي معروف، ولد في عام ١٩٠٣ في قرية (هساري) القريبة من مدينة ماردين، في عام ١٩١٤ نزح مع عائلته إلى مدينة عامودا والقامشلي في غربي كردستان، له ما يناهز ثمانية مجاميع شعرية إلى جانب كتب ضمت قصصاً شعرية واخرى عن اللغة والتراث الكردي. توفي في مملكة السويد سنة ١٩٨٤.

أما السلحفاة، فقد توجهت إلى إحدى أصحابها السلاحف وقالت لها:

- لقد خرِب بيتي! الثعلبُ يريد أن يسرق المحصول برمّته.

ثم قصت عليها الحكاية فقالت لها صديقتها:

- هل تعرفين ماذا نفعل بالثعلب؟ غداً صباحاً توجّهي أنت صوب الوادي، أما أنا فسوف أسبقك إلى الحقل وأخبئ نفسي في كومة الحبوب الكبرى، ومتى ما وصل البيدر سأخرج وأقول له: هذه الكومة من حقي لأنني وصلتُ قبلك.

حضر الاثنان في الصباح وانطلقا يتسابقان عبر الوادي. لكن أنّى للسلحفاة أن تلحق بالثعلب؟ وهكذا سبقها الثعلب ووقف عند الكومة الكبرى، غير أن السلحفاة الثانية التي لا يمكن تفريقها عن صاحبتها برزت له وصاحت:

- هيه. هذه كومتي. لقد اخترتها لنفسي إذ وصلتُ إلى هنا وأنت لمّا تزل في بطن الوادي.

عض الثعلب على شفاهه وأدماها من الغيض وقال:

- هذه والله قصة مؤلمة.

لكنه أغمض عينيه واستحضر كل ما في جعبته من مكر وخداع وقال:

- لا. انا لا أرضى بهذه الطريقة في القسمة. لتكن الكومة الكبرى من نصيب أكبرنا عمراً.

قالت السلحفاة:

- حسناً، قل لي في اي عام ولدتَ؟

- لقد جئتُ الدنيا في السنة التي جاء فيها آدم.

ما أن سمعت السلحفاة ذلك حتى انهارت باكية وانهمرت الدموع من عينيها. تعجب الثعلبُ وسألها:

- علامَ تبكين يا أختي؟

- آه، آه. تبا لك! لقد ذكّرتني بولدي الشاب ذي الثمانية عشر ربيعاً. لقد مات في تلك السنة بالتحديد!

نظر الثعلب إليها وقال:

- تفّ على هذا الوجه! قد كنتُ أعلم أن هذه التجاعيد على رقبتكِ ليست وليدة العام!

حتى عرف العقل أودى بـالمال

كـان (شـيرو) إبـن اسـرة كـبيرة غنيـة. عنـدما مـات ابـوه تـرك لـه ثـروة عظيمة، لكنه تصرف بحماقة وخفّة فأخذ يقيم الحفلات والولائم لمئـات مـن "الأصـدقاء" مـن الأراذل والحثـالات والطائشـين والطفيلـيين الـذين جمعهم من حوله وأنفق عليهم من مالـه، فلـم تكـن تمضـي ليلـة إلا واقـام فيها مجلساً للغناء والـرقص والطعـام والشـراب. امـا امـه فكانـت تنصـحه قائلةً:

– عُد إلى رُشدك يا بُني ولا تسلك هذا الطريق.

لكنه يصمُّ اذنيه عن نصائحها ويمضي سادراً في غيّه.

في احد الأيام جلست الأم متفكرة مهمومة وقالت:

– يـا نـاس يـا عـالم! مـاذا سيكون مصـير ابـني؟ اعـرف أن تلـك الحثالة من حولـه لـن يتركوه إلا بعـد أن يـدمروه، مـاذا افعـل عنـدها؟ عليَّ أن احتاط للأمر من الآن.

وانطلقت من فورها كسربٍ مـن النمـل النشـيط، فجالـت في أرجـاء المنزل واخذت صندوقاً ملأتـه إلى آخـره بالمـال واحكمـت إغلاقـه ثـم خبأته في مكانٍ بعيد عن الأنظار، وحين رجع ابنها قالت له:

– اسمع يا بُنيّ. لا تدع شيئاً في نفسك. الدنيا مفتوحة أمامك. امضِ حياتك في سرور وعزّ ما دمت سالماً. مال ابيك كثير ويكفيك ما حييت.

طفق شيرو يبعثر النقود كما الأمراء، ويحشو افواه اللئام وبطونهم، ومضت الأعوام على هذا المنوال حتى افلس وتردّت أحواله وانحدر إلى درك الفقر والجوع. أما أولئك الأصدقاء المزعومون فقد امسكوا أيديهم واصلحوا حالهم حتى غدوا اغنياء موسرين، فصاروا يقفون على راسه ويسخرون منه ويكشرون في وجهه ويَسِمونه بالغباء والجهل. ولهذا يقول الكُرمانج: حين يهرم الذئب يصير أضحوكة للجراء!

وحدث أن سمع شيرو يوماً بأن اصدقاءه عازمون على القيام بنزهة، فأحبّ أن يأخذ معه بعض الطعام ويصحبهم. بحث من حوله فلم يجد غير ارنب وحيد فباعه واشترى بثمنه خبزاً ولبناً رائباً وانطلق نحوهم. في منتصف الطريق احس بحاجته إلى التبول، فوضع اللبن على الأرض وابتعد قليلاً، لكنه عندما عاد رأى جرواً يلغ في لبنه، فاضطر إلى سكبه ومضى إلى أصحابه مغموماً والدموع تترقرق في عينيه، فنظر أولاد الحرام إليه وسألوه عما جلب معه، فأجاب:

– جلبت معي بعض اللبن الرائب، لكن الجرو اكل منه ولوّثه فاضطررت إلى رميه.

انفجر أصدقاء المنفعة اللئام بالضحك وصاحوا معاً:

– كيف للكلب أن يأكل اللبن الرائب؟! لم يرَ احد شيئاً كهذا!

تألم شيرو كثيراً فترك المكان وعاد إلى امه وقال لها:

– أُماه. لقد ندمت كثيراً لأنني لم استمع لنصائحك، لكن ماذا افعل؟ "حتى عرفتُ العقل اوديتُ بالمال" اريد ان اقتل نفسي الساعةَ ممّا نزل بي من هؤلاء الأنذال وليكن إثمك في رقبتي!

نظرت له الأم وقالت:

– ولماذا تقتل نفسك يا ولدي؟ انا لا أريدك أن تفعل هذا بل اريدك فقط ان تعرف نفسك. لا تحمل هماً فأنا امك! معي– إذا توقفتَ عن الاسراف– ما يكفيك ويزيد.

قبّل شيرو راس امه وقال:

– مئة رجلٍ فداءٌ لامراةٍ مثلك. من اليوم فصاعداً ساجيد التصرف بمالي.

فتحت الأم غطاء الصندوق وسمحت له بأن يأخذ منه ما يشاء وقالت له:

– هذا مالك وحلالك وعليك أن تعتمد على نفسك من اليوم.

نهض الولد وأعاد كل شيء في البيت إلى سابق عهده. وفي اليوم التالي نادى أصحابه:

– يا معشر الأصدقاء. انتم جميعاً مدعوون عندي يوم الأربعاء القادم.

لكنــه لم يضــع أمــامهم طعامــاً أو شــراباً بــل أخــذ يشــرح لهــم بالتفصيل حكاية المال الذي خُفي عنهم. ثم قال:

- يا معشر الأصدقاء. هل تصدقون؟ لقد حدث معي أمر غريب لم يـره أحـد مـن قبـل. فقـد تـرك أبـي بعـض الخبـز وبعـض الرصـاص في إحدى الغرف لكن الفئران أكلت الرصاص وتركت الخبز على حاله.

- نعم، نعم (ردد الجميع سويّة) هذا صحيح. الفأر نغل. إنـه قـادر على أكل الرصاص.

تناول شيرو عصاه وأوجعهم ضرباً:

- أيها الأوغاد. عندما كنت فقيراً لم يكن الجرو قادراً على تنـاول اللبن، أمّا وقد اغتنيت فقد أصبح الفأر قادراً على التهام الرصاص!



تحلَّ بالصبر تكن أمير مصر

في قديم الزمان، زمان الملوك والسلاطين، عاش والٍ كهل حكيم لم يرزق بمولود سوى ابنة وحيدة. في إحدى الأيام طلبت الابنة من ابيها أن يأخذها إلى سوق الصاغة كي تشتري بعض الحلي والجواهر، فوافق الوالي وأخذ بيدها، ودارا في السوق طويلاً حتى اعجبت بلؤلؤة جميلة ثمينة، فاشتراها لها دون مساومة.

عندما عادا إلى القصر تفقدت الفتاة أغراضها، فاكتشفت أن اللؤلؤة قد سقطت منها في الطريق فحزنت أشد الحزن وانهمرت الدموع من عينيها. رق الوالي لبكائها وقال لها:

– هلمي كي نعود إلى السوق واشتري لك واحدة أجمل منها.

لكن الفتاة ردت بأن تلك اللؤلؤة فريدة لا نظير لها وأنها لا تريد غيرها، فاستدعى الأب مناديه وامره أن يدور في المدينة وينادي بأن من يعثر على لؤلؤة الأميرة ويعيدها إلى القصر سينال مكافأة قيّمة. سمع أهل المدينة النداء وشرعوا بالبحث عن اللؤلؤة المفقودة. وكان في المدينة فتى يتيم وحيد قدر له أن يعثر عليها قبل أن يسمع النداء، فلما سمعه قال:

– الحمد لله لقد ظهر صاحبها. فلأذهب وأسلمها له فخبز الحرام لا يشبع بطننا!

وتوجه نحو قصر الوالي وقال له: هذه لؤلؤتكم يا سيدي. ثم استدار لينصرف، فناداه الوالي:

– تريث يا ولدي كي أعطيك هديتك.

لكن الفتى شكره وقال:

– أنا لم أفعل شيئاً غير إعادة المال إلى أصحابه، ولا حاجة بي يا سيدي لأية هدية فهذا حرام!

– لكنني أعطيك إياها برضاي، فلماذا تكون حراماً؟

– ولماذا لم تهدني شيئاً قبل هذا؟ أليست هذه مكافأة على إعادة اللؤلؤة؟

واستأذن منه وخرج. فرحت الفتاة كثيراً باللؤلؤة، أما الوالي فقد فرح كثيراً بوجود فتى مثله في المدينة.

مضت الأعوام وتقدم العمر بالوالي وصار يفكر في مستقبل ابنته وفي تزويجها لرجل يناسبها، فأمر وزيره بأن يبني لها قصراً جوار قصره. شرع الوزير بتنفيذ الأمر وجلب العمال والبنّائين، وكان الوالي يستمتع كل يوم بمراقبة القصر الجديد ومراحل تشييده، فلاحظ أن وجبات العمال والبنّائين كانت تتغير يومياً، فتذهب مجموعة وتأتي غيرها، إلا شاب مليح ظل مواظباً على العمل كل يوم حتى شارف البناء على الانتهاء. فأرسل الوالي في طلبه وقال له:

– يا ولدي إني أراك تعمل في بناء القصر دون انقطاع منذ اليوم الأول فمن أنت وما حكايتك؟

– أنا يا مولاي إنسان فقير ليس لي أحد في هذه الدنيا، لا أب ولا أم ولا أهل وعليَّ أن أعمل كي أعيل نفسي وأعيش كالآخرين. وأنا أؤمن أن المرء متى بدأ بعمل فعليه إتمامه، فليس حسناً أن يعمل المرء كل يوم في مكان فهذا يقلل همته.

استحسن الوالي حديث الشاب، وقال في نفسه ما من احد انسب منه للزواج من ابنتي، إنه شابٌ عاقل حكيم واتوقع له مستقبلاً عظيماً. وهكذا قرّبه إليه وقال له:

– تعال وضع يدك في يدي فقد زوجتك ابنتي.

فتقدم الفتى وصافح الوالي وقبل الزواج منها. ثم قال له الوالي:

– أنت تعلم يا ولدي بأنني لم ازرق بذرية غير هذه الفتاة، ولهذا بنيت لها هذا القصر كي تعيشا فيه قريبين مني ولا اشعر بالوحدة بعيداً عن ابنتي.

واقيمت الأفراح والليالي الملاح وعاشوا في سعادة ووئام. وفي إحدى الأيام رأى الشاب زوجته وقد شبكت تلك اللؤلؤة على شعرها فقال لها:

– يا فلانة الم تضع هذه اللؤلؤة منك؟

– بلى والله، لكن ولداً فقيراً عثر عليها واعادها الينا ثم رفض ان يأخذ هدية ابي نظير امانته وغاب ولم نعرف عنه شيئاً.

– لا تحملي هم ذلك الولد يا جميلتي. انا ذلك الفتى وها قد نلت جائزتي من ابيك. أنت جائزتي الثمينة!

غمر الفرح الأميرة عندما سمعت ذلك، ورمت نفسها في احضان زوجها وتعانقا في محبةٍ وهناء. أما أنا فقد غادرتهما على تلك الحال وجئت كي اقص عليكم الحكاية!

الشام سكّر لكن الوطن أحلى

يُحكى ان حاكماً أمر بخروج حملة للصيد وطلب من كل صياد ان يأتيه بطائرٍ حي. انطلق الصيادون في البراري والجبال ولسان حال كل منهم يقول:

- سأمسك بأجمل طير وسيأمر الحاكم لي بجائزة قيّمة.

واصطادوا الكثير من الطيور وجاؤوا بها إلى الحاكم فطاف بها واختار أجملها قاطبة وأمر للصياد بجائزة ثمينة. أطلق الحاكم الطيور كلها إلا الطير الذي اختاره، ثم أمر بأن يصنعوا له قفصاً كبيراً وجميلاً ويضعوه في حديقة القصر. كان طيراً جميلاً حقاً، صار مصدر سرور ومباهاة للحاكم الذي ما انفك يريه لضيوفه وزواره ولا يمضي يوم دون أن يتفقده مرة أو مرتين.

كانت حديقة الحاكم مثل جنة على الأرض في خضرتها وجمالها وألوانها، بيد أن الطير أخذ يهزل وتسوء أحواله بالتدريج، ولم يعد يغرد غير مرة واحدة في اليوم. حزن الحاكم لأجل طائره الأثير، فأرسل للصيادين وطلب منهم أن ينصتوا لغنائه ووعد بمكافأة جزيلة لمن يفسر ما يقول، لكنهم عجزوا جميعاً عن إدراك مقصده. وأخيراً سمع بصياد اشتهر بفهمه لحديث الطيور، فأرسل في طلبه وقال له:

- سأعطيك مكافأة كبيرة إذا عرفت ما يقوله طيري هذا.

انصت الصياد للطير ثم قال:

- يا سيدي الحاكم، إنه يقول: الوطن، الوطن. إنه مشتاق لوطنه.

كافأ الحاكم الصياد وأسرج حصانه واصطحب معه عدداً من الفرسان وقال:

- سوف أطلقه واتعقبه كي أعرف السبب وراء تفضيله لموطنه على هذه الجنة الخضراء.

وأطلق الطير وتعقبه هنا وهناك حتى وصل إلى مستنقع صغير يحيط به القصب والبردي. حط الطير على عود قصب وأخذت الريح تهزه يميناً وشمالاً والماء يتناثر على جسده، ثم فتح فمه ومضى يصدح بلحن واثنين وألف لحن عذب.

هز الحاكم رأسه وقال:

- قد صدق القائلون: الشام سكّرٌ لكن الوطنَ أحلى!

إذا جاءك الموت فلا تدر مؤخرتك

يحكى أن رجلاً كان يعمل راعياً لأبقار إحدى القرى. يخرج بها كل يوم قبل انبلاج الصبح ولا يُعود إلا بُعيد الغروب، حتى أن أحداً من أهل القرية لم يره يوماً في وضح النهار، حتى في أيام الأعياد. كان، باختصارٍ شديد، يعيش حياة ملؤها الكرب والشقاء، غير أنه، ويا للعجب، اعتاد أن يوصي زوجته بأن تطعم جائعاً أو فقيراً رغيف خبزٍ كل يوم وأن تهدي ثوابه إلى عزرائيل طمعاً منه في أن يطيل له الأخير حياته!

في إحدى الأمسيات حلَّ على كوخهم ضيف غريب تبدو عليه سيماء المهابة وعلو الشأن، فأكرمته الزوجة وهيأت العشاء ووضعته على الموقد، وتوجهت إلى أطراف القرية لتستقبل زوجها وتطلب منه الاسراع للترحيب بالضيف كما تقتضي العادات. أطلق الراعي الأبقار وسط القرية وهرع إلى كوخه فرحاً بمقدمه.

بعد العشاء جلس الرجلان للسمر وتبادل الأحاديث، فسأله الضيف:

– لماذا لا تترك هذا العمل الشاق وتبحث عن مهنة اخرى؟

أجابه الرجل:

– انا لا اجيد مهنة غيرها فماذا اشتغل إن تركتها؟

– اشتغلْ طبيباً!

– طبيباً!؟ وكيف لي هذا وانا لا أعرف شيئاً عن الطب؟

- انصت لي أيها الرجل الطيب. انا عزرائيل وقد جئتك اليوم كي اجازيك على ذلك الرغيف الذي دابتَ على جعله ثواباً لي، ولهذا سأساعدك بأن اسبقك إلى اي مريض تزوره على أن لا يراني احد غيرك، فإن رايتني واقفاً على راس المريض فاعلم بأن يومه قد جاء واطلب من اهله أن يجهزوا قبره وكفنه اذ لا امل في شفائه. اما إذا رايتني واقفاً عند قدميه فبشرهم بسلامته، وقم بغلي بعض الاعشاب واسقها للمريض فيشفى من ساعته!

ثم قام الضيف مودعاً وغاب في عتمة الليل. اما صاحبنا فعمل بنصيحة عزرائيل واصاب نجاحاً عظيماً حتى اغتنى وبلغت شهرته الأصقاع.

قضى الرجل حياته على هذه الشاكلة حتى ادركته الشيخوخة ودنت ساعته وسقط طريح الفراش. ولم يلبث أن راى صديقه عزرائيل واقفاً فوق راسه، فارتاع وصاح بزوجته طالباً منها أن تديره في السرير وتضع راسه مكان قدميه، ففعلت ذلك، لكنه تفاجأ بأن عزرائيل ما زال واقفاً على راسه، فصاح بزوجته كي تعيده كما كان، ففعلت لكن دون جدوى. عندها انحنى عزرائيل عليه وهمس في اذنه:

- لا تتعب نفسك يا صاحبي. مهما ادرت مؤخرتك، لا فرار من الموت!

أبداً لن أبوح بما يجري الماءُ فوقه

سأل رجل ابنه ذات يوم:

– كم صديقا لديك يا ولدي؟

– هوهو.. كثرٌ لا يعدون. ولكن لماذا تسألني يا ابي؟

– لو طلبت رايي سأقول لك إنهم ليسوا أصدقاءك بل اصدقاء مائدتك. انت فتى سخي ويدك مبسوطة، لهذا يكثر الأصدقاء من حولك. هكذا هو زمانكم، اما في زماننا فلم يكن الأمر كذلك. في حياتي بطولها لم يكن لي غير نصف صديق اضع ثقتي فيه واعتمد على صداقته وقت الضيق. لكن اصدقاء الطعام لا يصلحون إلا للطعام وعندما تضيق أحوال المرء تراهم كما يقول المثل "اصدقاء الدينار لا ينفعون".

قال الابن:

– ما هذا الذي تقوله ؟! اصدقائي كلهم إذا طلبت منهم ان يلقوا بأنفسهم في النار لما ترددوا. اتظنني دون عقل كي اخالط اصدقاء السوء؟

– هذا جيد يا ولدي. لكنني اريدك ان تجرب اصدقاءك كي تفرق بين الصديق الحقيقي وبين "اللقّام".

– وكيف لي ان اجرّبهم؟

– هذه الليلة عندما يعم السكون المدينة، اخرج ودر على ابواب اصدقائك واحداً فواحداً وقل لهم: إن الملك قد غضب علي وأمر

بإلقاء القبض عليّ وشنقي، وقد لجأت اليك كي تخفيني في بيتك بعض الوقت ريثما اجد طريقة للنجاة.

وهكذا خرج الابن بعد انتصاف الليل ليلف على أصحابه وبدأ بأقربهم اليه وطرق بابه فخرج له وسأله:

- خيراً يا اخي.

- والله يا اخي لا اعرف ماذا اقول. قد دنت ساعتي. لقد أمر الملك بإلقاء القبض علي وشنقي، لذا جئتك كي تخبئني عندك بضعة أيام ريثما اتدبر طريقة للنجاة بحياتي.

اجابه صاحبه متجهماً:

- اعذرني، لا استطيع مساعدتك، فلستُ نداً للملك، إذا القوا القبض عليك في بيتي سيحسبونني صديقك وشريكك. اذهب وابحث لك عن مكان آخر.

ثم أوصد الباب بوجهه. توسل الولد إليه:

- افتح يا اخي أرجوك. متى تكون الصداقة إن لم تكن في وقت كهذا؟!

لكن توسلاته ذهبت أدراج الرياح.

مضى صاحبنا إلى بيت صديق ثانٍ ثم ثالث ورابع حتى انتهى منهم جميعاً، لكنه لم يلق منهم غير الصدود والانكار، فعاد خائباً إلى أبيه الذي سأله:

- ها يا ولدي، ماذا رأيت منهم؟

- قد حدثَ ما توقعتَ يا أبتي.

– لا عليك. إذهب إلى فراشك الآن وغداً سوف نجرب نصف صديقي الذي حدثتك عنه.

في اليوم التالي قال الرجل لابنه:

– هل تعرف القصاب الفلاني؟

– نعم يا والدي.

– اذهب اليه وقل له، يسلم ابي عليك ويريد منك أن تزن له بضعة أرطال من اللحم الطازج لآخذها معي إلى البيت.

قصد الولد دكان القصاب ونقل إليه طلب والده، فوزن له قطعاً من اجود اللحم وقال له سلّم لي على أبيك. عاد الولد إلى البيت وسلم أبيه اللحم، فما كان منه إلا ان القاه ارضاً ومرّغه بالتراب وأعاده إلى الكيس وقال له:

– إذهب اليه وقُل له السنا بشراً كي ترسل لنا هذا اللحم الفاسد؟ خذ لحمك هذا واعطنا لحماً طازجاً.

لا اطيل الحديث عليكم. ارسل القصاب لحماً افضل من الأول فمرغه الأب بالتراب وأعاده اليه. وفي المرة الثالثة قال القصاب:

– اسمع يا بني. اخبر اباك بأن يكف عن تمريغ لحمي بالتراب، فمهما فعل معي لن أبوح ابداً بما يجري الماءُ فوقه![1]

عاد الابن وقص على ابيه ما حدث فقال له الأب:

– ارايت يا ولدي؟ هذا نصف الصديق الذي خرجت به من الدنيا.

---

١. كان الأب قد تورط قبل وقت طويل بقتل احدهم فأعانه القصاب وتستر عليه وساعده بدفن الجثة تحت ساقية الطاحونة وظل الماء يجري فوقها منذ ذلك الحين.

يا قنفذي فدتكَ أمُّك

سافر رجلان مرةً إلى حلب لغرض التجارة. انهى الأول اشغاله سريعاً لأنه باع واشترى على قدر نقوده وطاقته، اما الثاني فقد تلكأ في إنجاز اعماله بسبب تشعبها وتكاثر الديون التي له وعليه، فقال لصديقه:

- اسبقني انت يا اخي وسافر في امان الله ولا تبق بانتظاري لأنني سأتأخر في الرجوع، ولكن هاك هذه الطاقية التي اشتريتها لولدي. أود أن تأخذها معك لأنه سيأتي دون شك لاستقبالك وسؤالك عني، وعندها ضع هذه الطاقية على راسه وقبّله نيابة عني وقل له هذه هدية ابيك لك.

سأله صاحبه:

- لكن كيف لي أن اتعرف على ولدك؟

- عندما يأتي صغار البلدة لتحيتك واستقبالك انظر اليهم ملياً فإذا رايت اجملهم ستعرف انه ولدي.

توادع الصاحبان وانطلق الأول في طريق العودة، فمشى ومشى حتى وصل اطراف القرية فأبصره صغارها- ومنهم ابنه- من بعيد وركضوا نحوه. تطلع التاجر في وجوه الأطفال، فلم يرَ من هو اجمل من ابنه، فوضع الطاقية على راسه ومضى معه إلى البيت. بعد أيام عاد صديقه فرآه ابنه وارتمى في احضانه ثم سأله:

- ماذا جلبت لي يا أبي؟ فأجابه:
- ألم أرسل لك طاقية جميلة؟ أين طاقيتك؟
- لم يعطني احد شيئاً.

بعد أن بلغ الرجل بيته واستراح قليلاً ارسل في طلب صديقه وسأله:

- الم أرسل معك طاقية كي تعطيها لابني؟
- بلى.
- فأين هي؟
- انت قلت لي ضعها على رأس من تراه أجمل الأطفال فنظرت ولم أر من هو أجمل من ولدي فوضعتها على راسه.

ضحك صديقه وقال:

- لقد صدق المثل إذ قال: يا قنفذي فدتكَ أمُك[1].

---

١. المثل قريب من المثل العربي (القرد بعين امه غزال)

ماذا سيحدث لو كان رُمّاناً؟!

في الأيام التي كان فيها الفقير الكادح مرغماً على الهوان والتذلل للأكابر وزيارته بين الفترة والأخرى لتقديم فروض الطاعة والولاء وما تيسر من الهدايا طمعاً في التماس حمايته ومساعدته في أوقات الشدّة، في تلك الأيام اعتاد رجلٌ بسيط من عامة الناس على زيارة الحاكم في كل فصلٍ من العام حاملاً معه شيئاً من فاكهة ذلك الموسم.

كان الفصل صيفاً والفواكه أنواعٌ وألوان، فاحتار صاحبنا ولم يعد يعرف ماذا يهدي للحاكم. وأخيراً استقر على رأي، فقام بقطف عدد من حبات الرمان التي تليق بالمقام ووضعها في سلة وأخذها إلى البيت كي يحملها للحاكم في الغد. حين شاهدته زوجته عائداً سألته عما في السلة، فأجابها:

– هذه رمانات سأحملها غداً للحاكم.

– ويحك، رمانٌ مرّة أخرى؟! لا، لا يا زوجي العزيز. أنصحك أن تهديه هذه المرة شيئاً من التين الفاخر. هذا أنسبُ وأجمل.

– نعم والله، كلامك عين الصواب.

وقام من فوره وملأ سلة من أجود التين وانطلق في الصباح صوب المدينة. وحدث أنه عندما وصل إلى القصر وجد الحاكم واقفاً في الفناء محاطاً بأزلامه وهو يرعد ويزبد ويهز قبضته متوعداً وعيناه

تتقدان بالشرر، لكنه تقدم منه وهو على تلك الحالة ووضع السلة امامه وقال:

- سيدي، لقد جئتك بهدية.

التفت الحاكم نحوه وهو في فورة غضبه ثم صاح باثنين من زبانيته حتى قبل أن ينظر فيها:

- قيدا صاحب السلة هذا إلى الجدار!

ومد يده إلى السلة وأبعد الحشائش التي تغطيها وشرع بالتقاط حبات التين وتصويبها تباعاً إلى وجه المسكين وصدره. لكنه إذ فرغ منها فوجئ بصاحبنا وهو يضحك ببلاهة فسأله:

- ماذا يضحكك يا هذا؟

- ههه، كنت يا سيدي قد جهزت لجنابك سلة من الرمان الكبير لكن زوجتي نصحتني بأن أحمل لك تيناً هذه المرة. ههه، ترى ماذا كان سيحدث لو كان هذا رماناً!؟

لو أنبتَ الندمُ قروناً

لبلغت قرون الملك السماء

يحكى أن ملكاً كان لديه طير رائع يحبه حباً يفوق الوصف. وكان يطلقه في حديقة القصر بين الحين والحين فيصدح بألحان عذبه يطرب لها قلبه، ويطير أحياناً إلى ضواحي المدينة ويعود عصراً إلى الحديقة. في مساء أحد الأيام عاد الطير وحط على يد الملك ووضع في كفه بذرة تفاح. زرع الملك البذرة في حديقته فاخضرت ونمت، ولم تمض سنوات حتى أثمرت عدداً من التفاحات الحمراء، وحين جاء أوان نضجها هبت الريح على الشجرة واسقطت واحدة من تفاحاتها فاقتربت منها حية رقطاء وانشبت فيها أنيابها ونقعتها بسمها؟

يقال بأن الملك كان في العقد السادس من عمره، ولم يكن له من عقب غير ولد وحيد. وشاء حظه العاثر أن يخرج الولد إلى الحديقة في تلك الساعة بالذات وتقع عيناه على التفاحة، فجلس تحت الشجرة وشرع بقضمها، ولم يكد ينهي نصفها حتى انتابه وجع شديد في بطنه وسقط دون حراك.

عندما شاهده الفلاح هرع نحوه وحاول إيقاظه، لكن دون جدوى، ثم تلمس جسده فأدرك أنه قد فارق الحياة، ونظر إلى يده فرأى فيها نصف تفاحة، فركض نحو السلطان وقال له:

– لقد أكل الأمير الصغير تفاحة من تلك الشجرة فمات.

حين راى الملك ابنه على هذه الحال، شبت النيران في فؤاده واسودت الدنيا في عينه، وتوجه من فوره نحو الطير وأخرجه من القفص وقطع راسه ورماه في مكانه.

بعد أن فض العزاء، انتابت الملك كآبة شديدة وغدا يائساً من الحياة، فنادى زوجته وقال لها:

– لقد كبرنا يا امراة و يستحيل علينا أن نرزق بذرية تخلفنا فماذا ننتظر بعد موت وحيدنا؟ هلمي نأكل من تفاح تلك الشجرة المشؤومة ونلحق بابننا.

ومضيا معاً إلى الشجرة واقتطف كل منهما تفاحة وتناولاها، ثم رقدا تحتها بأعين دامعات وسرعان ما استسلما للرقاد. بعد قليل استفاقا معاً ونظر احدهما في وجه الآخر وصاحا في وقت واحد:

– ما الذي حدث لك؟

كان الاثنان قد رجعا إلى صباهما. وتراءى لهما ما حدث مثل حلمٍ عابر، وانتابهما فرح غامر. عندها فقط أحس الملك بخطئه حين قتل الطير وأدرك أن موت ولده لم يكن بسبب التفاح، فعض أصابع الندم ولكن بعد فوات الأوان. ومن يومها صار الناس يقولون:

– لو أنبتَ الندمُ قروناً لبلغت قرون الملك السماء!

لا أحد يسدُّ مكان غيره

كان الثعلب يتجول في اطراف الغابة باحثاً عن شيء يسد رمقه وقد انطبقت اضلاعه على بطنه من شدة الجوع. فجأة رفع راسه فراى الأسد قبالته. ارتعدت أوصاله من الخوف واستطاع بشق الأنفس أن يسأله:

- عمَّ تبحث يا مليكي؟

- انا جائع وافتش عن فريسة ما.

اعمل الثعلب دهاءه، فواتته في الحال فكرة جهنمية تخلصه من براثن الأسد، فطفق يبكي وينحب بصوت عالٍ. استغرب الأسد وسأله:

- علامَ تبكي يا هذا؟

- أبكي لحالك يا سيدي. إن كنتَ، وأنت الملك، تقاسي الجوع فماذا نفعل نحن الرعية المساكين؟ رحم الله والدك، لم يكن يتركنا محرومين من اللحم ولو ليوم واحد. يا للصداقة التي جمعتني وإياه! لم يكن يهنأ بطعام او صيد إن لم يدعني لمشاركته فيه حتى نشبع تماماً، وبعدها فقط كان يسمح للآخرين بأن يأكلوا. يا لحظي العاثر! ماذا اقول لك؟ هل ادعوك لأكل لحمي؟ كلا فلحمي بائس هزيل لا يصلح للملوك! ماذا افعل يا إلهي؟!

- لا تحمل هماً يا ثعلب. ما دمت صديقاً حميماً لأبي سأصطاد في الحال فريسة نتناولها معاً.

ولم يمض الكثير حتى ابصر سرباً من الغزلان فانقض عليه وامسك بأحدها وجرجره إلى حيث الثعلب وقال: تفضل كل!

لكن الثعلب شرع بالبكاء من جديد، فسأله الأسد:

– ما الذي يبكيك الآن؟

– تذكرت المرحوم. كان صاحب ذوق ومزاج. حين يظفر بصيد كنا نحمله ونصعد إلى هناك عند قمة الجبل ونتناول طعامنا بين النسائم العِذاب.

اطبق الأسد أسنانه على رقبة الغزال وقال للثعلب اتبعني إلى قمة الجبل. بعد أن اكلا وشبعا، بدا الثعلب بالبكاء للمرة الثالثة، فسأله الأسد:

– ماذا يبكيك هذه المرة؟

– تذكرت المرحوم. لقد كان اسداً كريماً شهماً لا يباريه أسد. وفوق هذا كان قوياً نشيطاً. اتدري ماذا كان يفعل بعد أن نشبع من الطعام؟

– ماذا؟

– لم يكن يخلد للقيلولة كما تفعل الأسود الكسلى بل كان يمارس الرياضة.

– الرياضة. وكيف؟

– كان يمط جسده ويشد عضلاته ويقفز مرتين أو ثلاث من هذه القمة إلى تلك القمة التي تراها. آهِ يا مليكي المرحوم. لم يبق في الدنيا أسد يستطيع فعل ذلك.

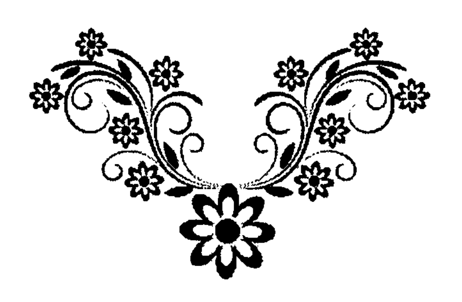
- كيف تقول هذا وانا موجود؟

- بارك الله فيك يا مولاي، ولكن لا أظن أن أحداً يمكن ان يسد مكانه.

- انتظر للحظة.

مط الأسد جسده وتراجع قليلاً ثم ركض وقفز من اعلى القمة فهوى إلى الوادي من ذلك العلو الشاهق وتحطم فوق الصخور. نزل الثعلب ووقف على رأسه وهو في النزع الأخير وقال له:

- الم اقل لك بأن احداً لا يمكنه ان يسد مكانه!؟



كلمة السوء تطير بجناحين

مرةً قال رجل فقير لزوجته:

– يا فلانة، لا اعرف سبباً يدعونا للبقاء في هذه القرية التي لا ارض لنا فيها ولا ماشية. فلنرحل منها ونذهب إلى المدينة.

وافقت الزوجة على فكرته، وما أن وصلا إلى المدينة حتى قال لها:

– اسمعي يا امراة. أينما ذهبتِ في هذه المدينة وحيثما اجتمعتِ بالناس، سواء في الحارة أو عند جرف النهر ليكن ديدنكِ مدح الحاكم والثناء عليه عسى أن يبلغه ذلك ويستدعينا ويمدّنا ببعض المال. أنا من جانبي سأفعل الشيء نفسه وسأمدح الحاكم اينما حللت.

مرت سنة كاملة والرجل وزوجته على هذه الحال من مدح للحاكم وإشادة به دون أن يصل خبرهما اليه. وفي إحدى الليالي قال الرجل لزوجته:

– ما أعجب هذا الحاكم! سنة برمتها ونحن نمدحه ونثني عليه ولا يقول يوماً لنفسه فلأكافئ هذين المسكينين. أي حاكم هذا؟ الا يحسن التفكير؟

وصادف أن حديثهما وصل إلى آذان أحد الفضوليين، فسارع بالذهاب إلى الحاكم ليخبره أن أهل البيت الفلاني يقدحان فيه،

فغضب الحاكم وأرسل شرطته ليأتوا بهما إلى الديوان، وحين دخلا عليه عاجلهما بالسؤال:

– لماذا ذكرتماني بالسوء ليلة البارحة؟

أجاب الرجل:

– هذا صحيح يا مولاي ولكن اسمح لي أن أدافع عن نفسي.

قال الحاكم:

– تكلم، قل ما عندك.

– يا مولاي، لقد مضت سنة بأكملها مذ قدمنا أنا وزوجتي إلى هذه المدينة، ونحن من يومها لا شغل لدينا ولا صنعة غير مدحك والإشادة بك، ولم تبق كلمة طيبة إلا وقلناها بحقك. أما هذا الذي نقل اليك حديث الليلة الماضية فقد مدحناك أمامه عشرات المرات ولم يحرك ساكناً ولم يخبرك بشيء، لكنه أسرع كالطير بإبلاغك بالكلمة الوحيدة السيئة التي قلناها عنك. لأنها تحمل الأذى والخراب؟!

فضحك الحاكم وعفا عنه وأمر له بجائزةٍ سخية.

حكاية أمير هَكاري

يحكى أن امير هكاري[1] ضرب الحصار على مدينة ئاميدي (العمادية)[2] وعسكر أمام بوابتيها، ثم أرسل إلى امرائها رسالة يقول فيها:

- آمركم أن تلقوا السلاح وتفتحوا البوابتين أمام جيشي. لا تأملوا بأن يهبَّ احد لنجدتكم.

لكن امير ئاميدي أجابه:

- عبثاً تطالبنا بهذا. نحن ايضاً امراء. انت من يعتدي على مدينتنا ولن نتوانى في الدفاع عن انفسنا.

فأرسل اليه امير هكاري رسالة ثانية:

- لقد زرعت للتو عدداً من أشجار الرمان ولن أسحب جيشي حتى آكلَ من ثمارها.

---

١. إمارة هكاري: إمارة كردية شبه مستقلة مركزها مدينة جولميرك (كوردستان تركيا حالياً) اتسعت لتشمل منطقة كبيرة جنوبي بحيرة (وان) وكانت (شأنها شأن الإمارات الكوردية الأخرى) في صراع مستمر طوال قرون عديدة بينها وبين تلك الإمارات، مما سهل استغلالها جميعاً من قبل القوى الاقليمية الكبرى لمصالحها الخاصة ثم إضعافها والقضاء عليها.

٢. كانت ئاميدى (شرقي دهوك) عاصمة لإمارة بهدينان القوية التي دامت عدة قرون حتى قضى عليها العثمانيون.

سبع سنوات طوال مرت على حصار المدينة. ارسل أمير ئاميدي لأمير هكاري قِدراً كبيراً مليئاً بالرز المطبوخ يعلوه لحم الحجل الشهي مع رسالة تقول:

– ها قد مضت سبعة اعوام ونحن صامدون بوجه هذا الحصار، وسيبقى هذا طعامنا حتى بعد سبعة اعوام اخريات.

فكتب له امير هكاري:

– يبدو أن هذا الرز هو آخر ما تبقى في مخازنكم وانكم سلبتم هذه الحجول من عجوز أو ارملة ما. ليكن في علمك اننا لسنا بحاجة إلى ما بأيديكم فهكاري وبيباد تحت حكمنا. ولكن لا بأس. سننهي حصارنا لكم شريطة أن تلقوا السلاح. ولا تخافوا وكونوا على ثقةٍ بأنني لن اسمح بإراقة قطرة دم واحدة. افتحوا كلا البوابتين: بوابة زيبار (الشمالية) وبوابة الموصل (الجنوبية) وليبقَ كل شخص في دكانه ويمارس عمله، اما جيشي فسوف يدخل من إحدى البوابتين ويخترق المدينة ثم يخرج منسحباً من البوابة الثانية.

قبل امير ئاميدي ما عرض عليه وبعث بالرد إلى امير هكاري، فأرسل الأخير قواته إلى داخل المدينة بعد أن اعلن بوضوح أن اي فرد من جيشه يقدم على اعتداء أو عمل قبيح سيكون جزاؤه قطع اذنه. لكن حدث أثناء مرور الجيش بالمدينة أن احد الجنود (وكان غليونه قد انكسر) وقف على احد الدكاكين واخذ منه غليوناً جديداً ولم يدفع ثمنه. وعندما علم الأمير بذلك ارسل في طلبه وامر بقطع اذنه في الحال. ثم امر بأن يتوجه كل امرئ إلى عمله وسحب جيشه

إلى وادي مزوري ومضارب الغجر القريبة. في تلك البقعة انتصبت صخرة كبيرة عالية مثل منارة. نزع الأمير معطف الفرو الذي يرتديه وألقاه على الصخرة ثم قال:

– لتكن هذه الصخرة البلقاء

شهادة من الأديان الثلاثة

على الحدود بين هكاري وبهدينان

كانت لهذا القرار آثار قاسية على مدينة ئاميدي وسكانها، إذ جعل مراعيها الطبيعية ضمن حدود إمارة هكاري مما أضرَّ بأحوالهم المعيشية. مضى الأمر على هذا المنوال حتى فكر أحد العقلاء الذين خبروا الدنيا بخطة ذكية، فلبس ثياب الدراويش– الشعراء وتوجه نحو عاصمة هكاري وهو يتغنى بقصائده الجميلة. ولم يمض وقت طويل حتى سمع به أعوان الأمير واستدعوه لقصره، ويقال أن الدرويش ظل لثلاثة أيام بلياليها ينظم الأشعار في حضرة الأمير، ثم استأذن منه ليعود من حيث اتى وقال:

– أنا يا سيدي درويش فقير أدور من مكان لمكان وليس أمامي سوى العودة إلى عملي.

اذن له الأمير وأمر احد قواده بأن ينقده عشر ليرات، لكن درويشنا لم يقبلها. أخبر القائد الأمير بذلك فأمر بجعلها عشرين ليرة لكن الدرويش لم يقبلها أيضاً واصر على موقفه حتى بعد أن جعلوها مئة ليرة. عندها استدعاه الأمير وقال له:

- يا درويشنا العزيز. ماذا تريد؟

فأجابه الدرويش:

- يا مولاي الأمير. مكافأتي ليرة واحدة لا غير. وليبارك لك الله في مالك.

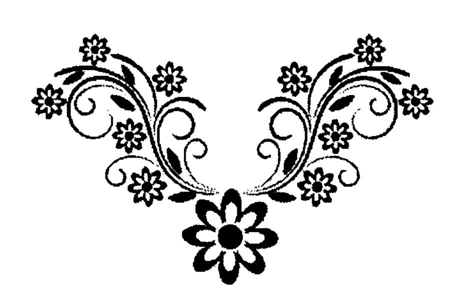
- ماذا تريد إذن أيها الدرويش العزيز؟ أوضح طلبك.

- ما أريده يا سيدي هو معطف الفرو الملقى على تلك الصخرة العالية.

- ولكنه ملقى هناك من سبعة أعوام، ولا بد أنه تهرأ الآن.

- فليكن يا سيدي. أنا راضٍ بهذا.

- قد عرفت مرادك ومقصدك. أيها القوم، ليكن في علمكم أنني قد ألغيت الحدود التي رسمتها وأنها ستعود كما كانت لأجل خاطر هذا الدرويش!



العقل الخفيف عبءٌ ثقيل

ذات مرة قال أمير الجزيرة لغلامه:

- غداً ستذهب في مهمة إلى أمير نامیدي، لكن قبل أن تذهب تعال كي تراني.

- أمرك يا سيدي.

نهض الغلام صباح اليوم التالي ولبس ثيابه وأعد عدة السفر، ثم توجه إلى قصر الأمير ونظر اليه وشرع بالمسير إلى ناميدي. عندما وصل إلى هناك سأله أميرها:

- فيم قدومك، وماذا قال لك أميرك؟

- لا أعرف يا سيدي. قال لي: غداً ستذهب في مهمة إلى أمير ناميدي، لكن قبل أن تذهب تعال كي تراني. وأنا من جهتي توجهت إلى القصر ورأيت الأمير واقفاً على الشرفة ثم جئتك.

- قد عرفت لماذا أرسلك. عندنا حادلة[1] ثقيلة رآها أميرك يوماً وأعجب بها.

ثم أمر خدمه فربطوا الحادلة إلى ظهره وقالوا له: هيا اذهب رافقتك السلامة. حمل الغلام الحادلة وسار بها حتى وصل إلى قصر

---

١. الحادلة: اسطوانة ثقيلة من الحجر في العادة كانت تستعمل لكبس وتسوية سطوح المنازل لمنع تسرب الماء منها.

أميره وقد انحنى ظهره وتقطعت أنفاسه، وأنزلها في الباحة، فسأله الأمير:

- ما هذا يا ولد؟

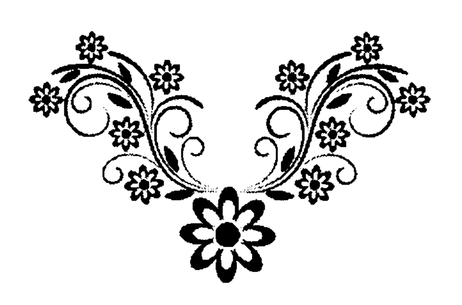
قص الغلام الحكاية، فسأله الأمير:

- ولكن ألم أقل لك تعال كي تراني قبل أن تذهب؟

- نعم يا مولاي قد دنوت من القصر ورأيتك واقفاً على شرفة القصر ثم ذهبت!

ضحك الأمير وقال:

- لقد صدق القائلون: العقل الخفيف عبءٌ ثقيل!



الظلم لا يدوم

يحكى ان ذئباً ظالماً متجبراً تسلط على قطيع من الذئاب وغدا زعيمها الأوحد، واطلق على نفسه لقب (سلطان بيك)، وكان كلما اصطادوا شيئاً، يستأثر بالفريسة ويأكل منها حتى يشبع ثم يترك للآخرين ما فضل منها من عظام وجلد وأحشاء.

ضجّت الذئاب من ظلمه وجبروته، لكنها خشيت مواجهته وتحديه. واخيراً قر قرارها على استشارة حكيم الثعالب عسى أن يجد لهم مخرجاً من محنتهم هذه، فتوجه اليه وفد منهم وشرحوا له الحال ورجوه أن يتكرم عليهم بفكرة للتخلص من (سلطان بيك) هذا، فأجابهم حكيم الثعالب:

– هذا أمر لا أسهل منه. اجمعوا لي حِملاً من أغصان الصفصاف الطرية ودلوني على المكان الذي يأوي اليه صاحبكم.

جلبوا له ما أراد، فانهمك في صنع سلة كبير بغطاء محكم، ودلوه على مكان الزعيم، فحمل السلة على ظهره وأخذ يلف ويدور قريباً منه وهو ينادي:

– سِلال، سِلال، عندي سلال فاخرة لا تصلح إلا للسادة والأبطال!

سمع سلطان بيك نداءاته فأرسل في طلبه وسأله:

– ما هذا الذي تبيعه؟

- إنها يا سيدي سلال لكبار القوم وعقلائهم يجلسون فيها مرتاحين ويحملها أحدهم على ظهره وينقلهم إلى حيث يريدون دون أن يرهقوا أنفسهم بالمسير. تفضل يا سيدي وجرِّب إحداها وسوف تجد ما يسرك ويرضيك.

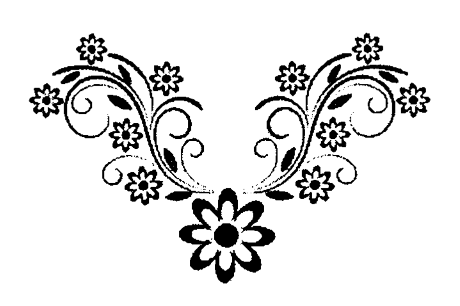
دخل سلطان بيك في السلة، فأحكم الثعلب اغلاقها وحملها على ظهره، فسأله الذئب: إلى أين؟ فأجابه:

- في جولة، في جولة صغيرة يا سيدي.

ارتقى الثعلب تلة عالية تطل على قرية قريبة، ثم أنزل السلة من ظهره وركلها فتدحرجت وتدحرجت حتى استقرت في ساحة القرية فانقض أهلها وكلابها على الذئب ومزقوه إرباً إرباً.

نزل الثعلب الحكيم إلى الذئاب وقال لهم:

- تفضلوا، خذوا راحتكم فلا سلطان بيك بعد اليوم!



الخير يجلب الخير والشر يجلب الشر

يقال أن رجلاً عاقلاً مجرِّباً، كبير السن، كان يعيش في إحدى المدن. كان متحدثاً لبقاً لا يشبع المرء من كلامه. وصلت شهرة الرجل إلى حاكم المدينة فبعث إليه رسولاً يدعوه ليكون ضيفه تلك الليلة.

بعد صلاة العشاء قصد شيخنا بيت الحاكم ودخل الديوان وسلّم وجلس. رحّب به الحاكم وطلب منه أن يحدث الحاضرين، فشرع بالحديث عن أحوال الدنيا وحكايات الغابرين. سرَّ الحاكم بالشيخ وفي ختام السهرة مد يده إلى جيبه وأعطاه ما تيسر من نقود، وطلب منه أن يحضر إلى الديوان كل ليلة.

يوماً بعد يوم، داوم الشيخ على هذا العمل حتى تبدلت أموره وبانت عليه النعمة. وكان له جار يعيش في فقر مدقع مثل حال الشيخ من قبل، فاستبد به الفضول وسأله:

– هلا أخبرتني بما فعلت حتى تبدلت أمورك على هذا المنوال! لقد كنت إلى قبل أيام أسوأ مني حالاً.

ولأن الشيخ من أهل الله ولا يستطيع الكذب فقد شرح له كل ما جرى بينه وبين الحاكم، فقال له الجار:

– يا جاري العزيز. الشرع والدين لا يرضيان بأن تتقلب في بحبوحة من العيش ولا أجد أنا خبزاً آكله. فلنتقاسم هدايا الحاكم يومين لك والثالث لجارك حتى أقف أنا أيضاً على قدمي.

رقّ له قلب الشيخ ووافق على طلبه، وصار جاره يقف على باب الحاكم مرة كل ثلاثة أيام وينتظر الشيخ حتى يخرج ويقول له:

– الله أعطى الحاكم والحاكم أعطاك فأعطني.

فيضع الشيخ في يده ما أتاه من رزق تلك الليلة.

مضت الأيام على هذا المنوال، لكن الطمع تمكن من قلب الجار وقال لنفسه:

– وما هذا الذي يحدّث به الشيخُ الحاكم؟ أنا الآخر قادر على أن أقول ما يقوله. سأكيد له حتى يطرده الحاكم وأحل محله ويكون المال من حصتي كل ليلة بدلاً من واحدة كل ثلاث.

وتحايل في اليوم التالي حتى وصل إلى الحاكم وقال له:

– ما هذا الذي تفعله يا سيدي؟ ولماذا تولي الشيخ كل هذا الاهتمام؟ إنه لو أردت الحق، لا يرغب في القدوم اليك وكثيراً ما سمعته يقول كيف لي أن اتخلص من هذه البلوى؟ إنني لأكاد أختنق من رائحة فمه الكريهة، ولا أعرف كيف أصبر حتى تنتهي السهرة وأخلص منه! إن كنت لا تصدقني يا سيدي فانتظر حتى الليل وسوف تراه قادماً إلى الديوان وقد لف فمه بيشماغه.

وعاد الجار الشرير إلى بيته وطلب من زوجته أن تعد طعاماً تملؤه بالثوم لأجل ضيف عزيز يحب هذا النوع من الأكل. وذهب إلى الشيخ وقال له: انت الليلة ضيفي على العشاء. وعندما جاء وقت العشاء وتحلقا حول الطعام قال الشيخ لجاره:

- لقد آذيتني أيها الجار بهذا الطعام المليء بالثوم. كيف لي أن أذهب الليلة إلى الحاكم وأتحدث إليه ورائحة فمي كريهة؟

- لا عليك يا رجل. ضع يشماغك على فمك ودع الليلة تمر على سلام!

عندما دخل الشيخ على الحاكم وقد لف فمه، تذكر الأخير كلام الجار وقال في نفسه قد صدق الرجل، هذا الشيخ يكرهني ولا يطيق مجالستي.

جلس الشيخ وقد اشاح بوجهه قليلاً، فسأله الحاكم:

- لماذا تغطي فمك؟

- لا شيء يا سيدي ابعد الله عنك الشر، اسناني تؤلمني وأصابني زكام، ولهذا غطيت فمي كي لا أعدي الحاكم.

لم يصدق الحاكم كلامه، لكنه أمره بأن يتحدث للحاضرين، فبدا الشيخ بالحديث والقص حتى انتهت السهرة، فكتب الحاكم ورقة لرئيس الحرس يقول له:

- متى ما جاءك حامل هذه الورقة فألقه في فرن مشتعل.

طوى الحاكم الورقة ووضعها بيد الشيخ وطلب منه أن يسلمها لرئيس الحراس. تسلم الشيخ الورقة وخرج من الديوان، وكانت تلك الليلة التي جاء فيها دور جاره الذي كان لابثاً في الخارج، فعاجله بقوله:

- الله أعطى الحاكم والحاكم أعطاك فأعطني.

– والله يا جاري العزيز لم يعطني الحاكم هذه الليلة سوى ورقة طلب مني أن أسلمها لرئيس الحرس ولا أعرف ما فيها. أنت اذن ونصيبك.

أخذ الجار الورقة وبكّر في اليوم التالي إلى رئيس الحرس وسلمه الورقة، وما أن قرأها الأخير حتى امسك بتلابيبه وألقاه في الفرن الحامي.

في الليلة التالية قصد الشيخ ديوان الحاكم مثلما اعتاد ودون أن يغطي وجهه وجلس وشرع بالحديث عن الدنيا وأحوالها. تعجب الحاكم وقال له:

– ايها الشيخ ماذا فعلت بالورقة التي اعطيتك اياها؟

فروى له الشيخ حكايته مع جاره من أولها إلى آخرها، وقال له أن ليلة الأمس كانت دور جاره.

عندها اتضح للحاكم بأن ذلك الجار لم يكن غير الرجل الذي جاءه ووشى بالشيخ زاعماً انه يكره الحاكم ورائحة فمه الخ. فالتفت للشيخ وسأله:

– حسناً. بالأمس كنت مصاباً بالزكام، فكيف شفيت منه بهذه السرعة؟!

– في الحقيقة يا سيدي لم أكن مصاباً بأي زكام، لكن جاري دعاني إلى العشاء بالأمس وقدم لي طعاماً مليئاً بالثوم، ولهذا لففت فمي كي لا أزعج الحاكم برائحته. اليوم اختفت الرائحة فلم أغط فمي.

عندها قال الحاكم:

– قد صدق قول الحكماء: الخير يجلب الخير والشر يجلب الشر.

اخسَر رأسك ولا تفضح سرك

يحكى أن رجلاً نجح ذات يوم في اكتشاف وصفة سحرية تتيح له صنع الذهب. وكان عصير التفاح واحداً من أهم مكونات وصفته تلك. وصل الخبر إلى الملك فأمر حراسه ومخبريه بالبحث عن هذا الشخص وإحضاره. بحثوا وبحثوا وتشمموا الأخبار وفتشوا في كل الزوايا عسى أن يعثروا على خيط يدلهم عليه، لكن دون جدوى.

استشار الملك وزيره في الأمر وقال له:

– كل ما اعرفه هو أن هذا الشخص يستعمل عصير التفاح في صنع ذهبه.

– دع الأمر لي يا مولاي. سأعرف من يكون.

– وكيف؟

– كلِّف أحدهم بأن يجلب لنا حملاً من التفاح من إحدى البلاد البعيدة. فهذا، كما يعلم مولاي، ليس موسم التفاح في بلادنا. ودع الباقي لي!

عندما وصلت حمولة التفاح قال الوزير:

– مولاي الملك، علينا أن نتنكر ونخرج إلى السوق كي نبيع التفاح ونقبض على هذا الشخص.

وهكذا غير الملك والوزير ثيابهما وأحسنا التنكر وحملا كيساً من التفاح وجلسا به في السوق. وصارا يجيبان كل من يمر بهما ويسأل عن سعره:

- الواحدة بليرة!

ولأن سعر التفاح المعتاد لم يكن ليزيد على القرش للواحدة، امتنع الجميع عن الشراء. في اليوم عينه سمع الرجل الذي يصنع الذهب بوجود تفاح في السوق في غير موسمه:

- هذا والله ليس سوى فخ نصب للإيقاع بي!

لكنه، مع هذا، لم يستطع كبح جماح نفسه. فخرج إلى السوق ودنا منهما والتقط تفاحة ووضع أمامهما قرشاً، فإذا بهما يرميانه في وجهه قائلين:

- نبيع كل تفاحة بليرة!

أعاد الرجل التفاحة إلى مكانها ومضى في طريقه. لكنه عاد في اليوم التالي ممسكاً بيد ابنه الصغير بعد أن لقنه أن يبكي عند المرور بالتفاح ويصيح:

- أريد تفاحة، أريد تفاحة!

وهذا بالضبط ما فعله الصغير الذي راح يبكي ويتوسل بأبيه ليشتري له واحدة. التقط الأب تفاحة وناولهما قرشاً فنهراه قائلين:

- الواحدة بليرة. ألا تفهم!؟

وهكذا اضطر الرجل إلى إعادة التفاحة إلى مكانها. وفي اليوم الثالث أعاد الكرّة وشرع الطفل بالبكاء واخذ يتوسل ويمرّغ نفسه في التراب. التقط الرجل تفاحة واخرج ليرة من جيبه. تصاعدت شكوك الملك والوزير لكنهما قالا له:

– التفاحة اليوم بليرتين!

حاول الرجل أن يساوم، لكنهما أصرّا على السعر الذي طلبه، فعاد خائباً، غير أنه عاد في اليوم الرابع ولم يساوم كثيراً عندما فاجأه قائلين:

– نبيعه اليوم بثلاث ليرات للواحدة.

كان بأمسّ الحاجة إلى التفاح، وعندما وجد أن السعر يزداد ليرة في اليوم اضطر إلى القبول بالسعر الذي طلباه، فأخرج من كيسه الليرات الثلاث، فوثب الوزير وأمسك يده قائلاً:

– أنت من نبحث عنه. إن لم تكن أنت صانع الذهب فماذا يرغمك على شراء التفاحة بثلاث ليرات وسعرها الحقيقي قرش واحد؟

ثم صاح بالحراس المتنكرين الواقفين غير بعيد:

– اقبضوا على هذا الرجل. أوثقوه وسوقوه إلى القصر!

بعد قليل كان الرجل واقفاً في القصر بين يدي الملك الذي أخذ يلاطفه:

– اسمع يا بني. انا لا اريد إيذاءك. ستصنع لي الذهب واجعلك صديقي، وربما جعلتك وزيراً لي!

فأجابه الرجل:

– ما الذي تقوله يا مولاي؟ ما قيمة الذهب الذي أصنعه لك مقارنة بالأشياء العظيمة التي يمكنني ان اقدمها لجلالتك؟

– اشياء عظيمة؟ مثل ماذا؟

– مثل سكّيني هذه التي انتزعها مني الحراس. بإمكاني أن اقطع راسك به ثم اداويك بهذا الدواء السحري الذي في جيبي فيرجع راسك إلى مكانه وتعود حياً من جديد.

– هل يمكنك فعل هذا حقا؟

لكن الوزير أسرع إلى تنبيه الملك:

– حذار يا مولاي. هذا الخبيث يريد قتلك! إن كان بمقدوره أن يفعل ما ادعاه، فمرهُ أولا أن يقطع راسه ثم نستخدم الدواء ونعيده إلى الحياة.

– اقبلُ بهذا. (قال الرجل بلهجة الواثق) انا جاهز. هيا ضعوا السكين في رقبتي.

وما هي إلا ثوان حتى كان يتخبط في دمه. وضعوا الدواء على رقبته مرة واثنتين، لكنه كان جثة هامدة.

– ارايت يا مولاي (قال الوزير) لقد قلت لك. هذا الرجل فضل فقدان راسه على الكشف عن سر صنعته!

اضرِب، اضرِب ،لن تنال غير ما رأيت

يحكى أن السلطان محمود تنكر في أحد الأيام بثياب الدراويش وخرج للتجول في أسواق المدينة وأزقتها. فمرّ بالصدفة بمحل حداد، فتوقف ليستمع لما يدور فيه، فبلغه صوت رجلٍ يضرب الحديد وهو يردد بصوت عال:

– اضرب، اضرب، لن تنال غير ما رأيت!

تعجب السلطان من هذه الكلمات واستولى عليه الفضول، فقال في نفسه:

– لا بد لي من معرفة سر هذه الكلمات.

كان الباب موصدا فقد تأخر الوقت وأقفلت كل الدكاكين أبوابها. طرق السلطان الباب، فنادى الحداد من الداخل:

– من هناك؟

– أنا عابر سبيل. هل يمكنك استضافتي هذه الليلة؟

– على الرحب والسعة. ادفع الباب وادخل.

سلّم السلطان عليه، ،وجلس على دكة قريبة من الحداد الذي رحب به ثانية ثم عاد إلى عمله فكان يضرب على الحديد المتقد وهو يردد الكلمات نفسها.

لم يستطع السلطان أن يمنع نفسه من سؤاله:

– إذا لم يكن في الأمر وقاحة ياسيدي، ماذا تقصد بهذه الكلمات؟

- دعني وشأني يا أخي. أنا وحدي أعرف سرّها.

غير أن السلطان ازداد فضولاً وصمم على سماع الحكاية، فاستسلم الحداد أخيراً وقال له:

- هذه الكلمات يا أخي ليست سوى نتيجة لحلم رأيته ذات ليلة. لقد حلمت بأنني مررت بجبل شاهق. نظرت إليه فرأيته مليئاً بالثقوب التي يخرج منها الماء. كان الماء يتدفق مدراراً من بعض الثقوب، لكنه كان ينزل بالكاد على شكل قطرات متباعدة من ثقوب أخرى. وفجأة برز لي رجل تحيطه هالة من نور، فجثوت على ركبتي وسألته: ما هذه الثقوب يا مولاي ولماذا هي مختلفة في الكبر ومقدار الماء النازل منها؟ فأجابني:

- هذه الثقوب يا صديقي هي حظوظ الناس وأرزاقهم. كل شخص في الدنيا لديه في هذا الجبل ثقب يمثل رزقه ومن كان الماء ينزل من الثقب المخصص له بوفره نال الغنى وراحة البال في حياته.

عندها سألته:

- فأين هو الثقب الذي يخصني؟ هل لك أن تدلني عليه يا سيدي؟

فأمسك الرجل بذراعي وقادني إلى صخرة بها صدع صغير لا يكاد يرى ينز منه الماء بصعوبة بالغة.

- هذا هو حظك وقدرك!

قال الرجل النوراني ،واختفى وهببتُ أنا من نومي. ومن يومها أدركت أن حظي في الدنيا قليل ولن أنال الغنى أو راحة البال حتى لو واصلت العمل ليل نهار. وهذا هو السبب الذي يجعلني أعيد وأكرر الكلمات التي سمعتها.

قرر السلطان أن يفعل شيئا لمساعدة هذا المسكين، وبعد أن استراح عنده لبضع ساعات ودعه وخرج عائداً إلى قصره. لكنه استدعى طباخه في اليوم التالي وطلب منه أن يشوي له دجاجة كبيرة، ثم أعطاه كيساً من الذهب وأمره أن يحشوه في جوفها ويخيطه قبل شوائها. فعل الطباخ ما أمر به وعاد بعد ساعة بالدجاجة المشوية المحشوة بالذهب، فقال له السلطان:

– في السوق الفلاني ثمة حداد اسمه فلان. اذهب بالدجاجة إليه وقل له إن السلطان يهديك إياها.

نفذ الخادم الأمر ووضع الدجاجة في صينية ثم غطاها بقطعة من القماش وحملها إلى الحداد وقال له:

– هذه هدية أرسلها لك جناب السلطان.

دُهش الحداد وقال:

– هدية لي أنا؟ ومن حضرة السلطان؟ ومن أين لحضرته أن يعرفني؟ على أية حال ضعها جانباً لو سمحت واشكر لي مقامه العالي. سأكمل عملي وأتناولها فيما بعد.

لم يمض وقت طويل حتى طرق أحد المتسولين الباب طالباً صدقة أو طعاماً فقال الحداد مع نفسه:

- قد أكلت قبل قليل كسرة من الخبز وبضع تمرات. هذا الفقير الجائع أحق مني بالدجاجة.

ثم نادى على المتسول وقال:

- ليس عندي مال أهبك إياه، لكن تفضل خذ هذه الدجاجة المشوية وكلها هنيئاً مريئاً!

حمل المتسول الدجاجة إلى خرابته وفتحها، فإذا بالدنانير الذهبية تتناثر من جوفها. لم يصدق عينه وفرح فرحاً عظيماً وغادر المدينة ليعيش حياة سعيدة بعيدة عن التسول.

بعد بضعة أيام استدعى السلطان محمود أحد عبيده وقال له:

- في السوق الفلاني ثمة حداد اسمه فلان. اذهب وراقبه وجئني بأخباره.

خرج العبد وفعل ما أُمِر به، ثم عاد بعد ساعات وقال للسلطان:

- إنه ماكث في دكانه وهو يضرب الحديد ويردد "اضرِب، اضرِب، لن تنال غير ما رأيت"!

تعجب السلطان من هذا، وقرر أن يعرف الحكاية، فتنكر ثانية بثياب الدراويش وخرج عند المساء وطرق باب الحداد طالباً أن يبيت عنده كما في المرة السابقة، ووجده تماماً كما وصفه العبد.

شرع الاثنان بتبادل الأحاديث المعتادة عن الصحة والأحوال والأخبار، ثم قال السلطان فجأة:

– اسمع يا صديقي. يتحدث الناس في السوق بأن السلطان نفسه أرسل لك دجاجة مشوية على طبق من نحاس.

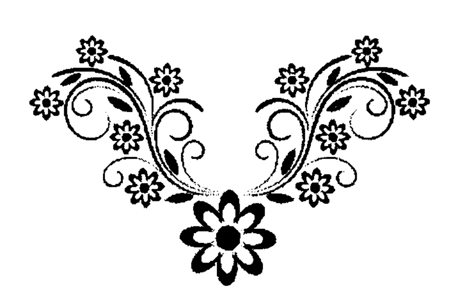
– نعم، قد فعل.

– ما أسعدك! يقولون أن طعام الملوك لا نظير له في اللذة.

– لم أذقها والله. جاء متسول جائع فوهبتها له مع الصينية!

فغر السلطان فاه من العجب، ثم ضرب كفاً بكف وقال:

– قد صح قول القائل: لا يصيبك إلا نصيبك! اعلم يا صديقي أنني أنا السلطان محمود، وأن الدجاجة التي أرسلتها لك كانت محشوة بذهبٍ يكفيك طوال حياتك. لقد صح حلمك يا صاحبي. اضرب إذن، اضرب، لن تنال غير ما رأيت!.



الدب الممتن

يحكى أن صياداً اعتاد ان يخرج كل يوم للصيد في البراري والجبال. في أحد الأيام صادف في طريقه دباً فأراد أن يقتله، لكن الدب استلقى على ظهره ورفع كفيه إلى الأعلى كما لو كان يتوسل اليه. عطف الصياد على الدب وامتنع عن قتله فانتصب الأخير قائماً وامسك الرجل من يده وأخذ يقتاده بعيداً. قال الصياد لنفسه:

– قسماً بالله، هذا الدب يريد مني أن افعل شيئًا من أجله.

سارا وسارا حتى توقفا تحت شجرة. وضع الدب رأسه بين يديه كما لو كان يطلب من الصياد أن يخفض رأسه كما يفعل هو، ثم قاد الرجل من يده إلى شجرة أخرى، فرأى اثنين من الدببة، ذكر وأنثى وهما يتضاجعان.

أمسك الدب ماسورة البندقية وصوبها إلى الدبة، كما لو كان يطلب من الصياد أن يقتلها. صوب الصياد البندقية نحو الدب الذكر، لكن الدب وجه البندقية مرة أخرى باتجاه الأنثى. أطلق الصياد النار عليها فأرداها في مكانها فيما هرب الدب الذكر واختفى بين الأحراش.

احتضن الدب الصياد وحمله بين يديه حتى اقتربا من قريته، وقد حل الليل، فأنزله أرضاً وظل يسير معه حتى بلغا بيته، فرفع مخالبه وكأنه يلوح بالوداع، ثم استدار غائباً عن الأنظار.

وفي ليلة شتائية باردة مثلجة وممطرة، عندما كان الظلام الحالك يلف كل شيء، سمع الصياد صوت دقات خافتة على الباب، فانتابه الخوف، لكنه امسك بندقيته وفتح الباب قليلاً ونظر من خلاله، كان الدب، مرتدياً معطفاً ثقيلاً وواقفا على قدميه ممسكاً بهراوة في يده وهو يشير إلى قطيع من الأغنام التي يسوقها. وضع الرجل يده على حلقه واشار بحركة منها إلى ان الدب لم يأتِ بفعل جيد وانه سيسبب له الكثير من المتاعب. لكن الدب نجح، ببعض الدمدمات والإشارات ان يُفهم الصياد بأنه جلب هذا القطيع من مكان بعيد جداً، ثم حياه واستدار مبتعداً.

في صباح اليوم التالي استغرب أهالي القرية من كل هذه الأغنام التي بحوزة الرجل، لعلمهم بفقر حاله وقلة أغنامه واملاكه. لذلك بدأوا يتساءلون ويتناقلون النمائم والأقاويل حوله. لكن الصياد قال لهم:

– كان والدي يملك الكثير من الخراف، وقد وضعها تحت رعاية أقرباء لنا في قرية وراء الجبال، غير انهم عجزوا في الآونة الأخيرة عن توفير علف لها فأعادوها اليّ. وسوف أضطر على أية حال إلى بيع القسم الأكبر منها والإبقاء على بعضها فقط.

وهكذا باع الكثير منها وصار ميسوراً بين ليلة وضحاها. مرّت الأيام، وفي ليلة شتائية مشابهة عاد الرجل إلى سماع طرقات مكتومة على الباب فقال مع نفسه:

– اقسم بأن الطارق هذه المرة هو الدب لا غير.

وعندما فتح الباب ونظر إلى الخارج رأى الدب وقد شد زوجاً من أحزمة الخراطيش على صدره، وفي يده بندقية لم يكن الأخ ليبيعها لأخيه في ذلك الوقت بألف دينار. دار رأس الرجل من المفاجأة، لكنه سحب خنجره ووضعه فوق رقبته كي يُفهم الدب بأن هذا الفعل من شأنه أن يكلفه رأسه. بيد أن الدب أخذ يهدر ويشير إلى البعيد وكأنه يريد إخبار الصياد بأنه جلب هذه الأشياء من مكان قَصيّ وبأن لا خوف عليه من امتلاكها. التقط الصياد البندقية والحزامين وانحنى للدب شاكراً، ثم صنع حركة بيديه يخبره فيها بأن هذا يكفي وبأن لا حاجة للدب بجلب المزيد.

لكن الدب عاد مرة أخرى وكان يحمل على ظهره جرة كبيرة مليئة بالزيت. ساعد الرجل الدب في إنزال الجرة، ثم أخذ يتوسل اليه بكل ما يستطيع إتيانه من إشارات وحركات كي يكف عن إحضار المزيد من الهدايا، وليفهمه بأنه لم يفعل شيئاً سوى قتل تلك الدبّة.

ولكن أنى للدب أن يتوقف عن مكافأة الصياد والتعبير عن امتنانه له لأنه قتل تلك الدبة.. تلك الدبة التي كانت تخونه مع غريمٍ فتيّ!؟

حسن الصياد

يحكى أن صياداً اسمه حسن كان يفهم لغات كل الحيوانات والطيور. في أحد الأيام، وبينما هو خارج للصيد في البرية، رأى ثعباناً عجوزاً يتقاتل مع حية شابة جميلة، أدرك حسن أن الثعبان العجوز يحاول اغتصاب الحية التي دافعت عن نفسها بضراوة. استاء حسن للغاية وسحب سهماً من جعبته وسدده نحو الثعبان، لكنه أخطأه وأصاب الحية الشابة وجرحها. وصادف أن تلك الحية كانت ابنة ملك الثعابين. وحين رآها أبوها على هذه الحال سألها:

– ماذا أصابك يا ابنتي؟ مَن جَرحكِ؟

فشعرت بالحرج واستحت أن تحدث أبيها بالتفاصيل، فاكتفت بأن قالت:

– حسن الصياد جرحني.

اتقد غضب الملك وأمر بدعوة كل الثعابين إلى اجتماعٍ عاجل وقال لهم:

– حسن الصياد أساء إلي واعتدى على ابنتي. إنه الآن في مسجد القرية. من منكم يتطوع بالذهاب إلى هناك والاختباء في حذائه ولدغه عندما يخرج ويهم بارتدائه؟

– أنا يا سيدي.

صاح ثعبان ذكي وحكيم. وذهب بالفعل من فوره إلى المسجد واندسّ في حذاء حسن. في تلك اللحظة بالذات كان حسن يحدث الناس قائلاً:

– لقد وقع لي حادث عجيب هذا اليوم، فقد رأيت ثعباناً عجوزاً يهجم على حية شابة ويحاول اغتصابها. كانت الحية الفتيّة تقاومه وترفض الاستسلام. لم أستطع الوقوف مكتوف اليدين وأنا أتفرج على هذا الظلم والعدوان، لذا سحبت سهماً لأقتل الثعبان العجوز، لكنه للأسف أصاب الحية الشابة وجرحها. ثم أخرجت سهماً ثانياً وقتلت ذلك الثعبان اللئيم، لكنني لا أعرف مصير تلك الحية الشابة.

عندما سمع الثعبان بهذا، عاد إلى ملك الثعابين وقال له:

– يا مولاي الملك. إن حسن الصياد يقص رواية مختلفة عما حدث للأميرة.

استدعى ملك الثعابين ابنته واخبرها بما نقله اليه الثعبان الحكيم وطلب منها أن تخبره بالحقيقة.

– نعم يا أبي، حسن الصياد محق فيما رواه، لقد كنت محرجة جداً من قول الحقيقة.

– إذا كان الأمر كذلك فإن حسن الصياد قد أسدى لنا معروفاً كبيراً، وهو يستحق الشكر والمكافأة. اذهب أيها الثعبان الحكيم واطلب منه أن يمثل بين يدينا كي نكافئه على جميل فعله.

ذهب الثعبان إلى باب حسن وشرع يصدر فحيحاً فهمه الصياد على الفور، فخرج اليه وسأله عما يريد فأجاب:

- لقد جئت إليك قبل ساعة بأمر ملك الثعابين كي الدغك واقتلك لأنك جرحت ابنته، غير اننا عرفنا بأنك فعلت هذا لسبب وجيه، ولهذا أرسلني سيدي الملك كي تمثل بين يديه ويكافئك ويكرمك. ولكن خذ مني هذه النصيحة: عندما يطلب منك الملك أن تتمنى ما تريد قل له "أنا لم افعل هذا من اجل المكافأة، اما إذا كنت مصراً فأنا لا اطلب منك إلا قطرة من سمّك" ثم اردف الثعبان: هل تعرف أن قطرة واحدة من السمّ يضعها ملك الثعابين في فمك ستجعل كل النباتات والأشجار والأعشاب تنادي عليك وتخبرك بالأمراض التي تشفيها، وهكذا ستغتني وتصبح طبيباً بارعاً وخبيراً عظيماً بالأدوية والأعشاب. لكنني أرجوك ألاّ تخبر الملك بأنني نصحتك بهذا مهما حدث، لأن في ذلك مقتلي!

عندما مثل حسن الصياد في حضرة ملك الثعابين، رحب به الأخير وشكره على شجاعته ودفاعه عن ابنته وقال له:

- اريد أن اجزيك على حسن صنيعك، فاطلب ما تريد.
- لا اريد شيئاً!
- لكنني مصرٌ على مكافأتك.
- في هذه الحالة يا سيدي انا لا أطلب سوى قطرة من سم أنيابك.

دهش الملك من طلبه وسأله:

- من علّمك ان تقول هذا؟
- لا أحد يا مولاي. إن كنت ترغب حقاً في مكافأتي فإنني لا ابغي غير هذا.

أومأ ملك الثعابين براسه ثم قال:

- سيكون لك ما تريد. لكنني احذرك: إذا بحتَ بهذا السر إلى أي إنسان فسوف تموت في التو واللحظة. هل فهمت؟ افتح فمك!

فتح حسن الصياد فمه فنفث فيه ملك الثعابين قليلاً من سمّه، ومن يومها صار حسن قادراً على فهم لغة النباتات والاشجار والأعشاب التي كشفت له عن أسرارها العلاجية والأمراض التي تنفع في شفائها. وهكذا صار بين ليلة وليلة طبيباً عظيماً يقصده الناس من كل الأرجاء.

وفي يوم من الأيام طلبت منه زوجته أن يخبرها بسر نجاحه هذا فأخذ يناور ويتهرب، لكنها ازدادت فضولاً وإصراراً على معرفة السر فقال لها:

- اسمعي يا امرأة. إذا أخبرتك بالسر سأموت في التو واللحظة.

لكن الزوجة الفضولية أجابته في عناد:

- هذا لا يعنيني. عليك أن تخبرني بالسر مهما كانت النتائج!
- ألهذا الحد حياتي رخيصة عندك؟!
- لا توجع راسي بالكلام! عليك أن تخبرني مهما حدث!
- ما في اليد حيلة إذن. (قال الرجل في أسىً وإذعان) اذهبي إلى السوق واشتري لي كفناً وحنوطاً، وعندما تعودين سأكشف لكِ عن السر.

وكان لحسن كلب وديكٌ يعيشان في المنزل. سمع الكلب ما دار من حديث، وعندما أحس بدنوّ أجل سيده أقعى في إحدى الزوايا والدموع تنهمر من عينيه. ولم يمض وقت طويل حتى أقبل الديك ورأى الكلب يبكي فسأله عما به، فقص عليه ما دار من حديث بين حسن وزوجته ثم قال:

– الويل لنا! لسوف يموت سيدنا وتطردني هذه المرأة الشريرة وأتشرد في الدروب، أما أنت فسوف تذبحك بالتأكيد!

– تعساً لهذا السيد! انظر إلي أنا الديك. إنني لأخرج من البيت كل يوم وأستمتع مع عشر دجاجات أو أكثر، ثم أعود وكأن شيئاً لم يحصل! أما سيدنا حسن فأظن أنه لا يملك من الرجولة ما يكفي للتخلص من هذه الزوجة الكريهة!

كان حسن يفهم كلام الحيوانات والطيور كما قلنا، ولهذا تفكر في ما قاله الكلب وتأمل هذا السلوك الشرير لزوجته التي هان عليها أن تراه يموت أمام عينيها لإشباع فضولها. وهكذا كان أول ما فعله عندما رجعت من السوق وهي تحمل الكفن والغسول والحنوط أن صاح بها؟

– ما هذا الذي تحملينه يا امرأة؟

– إنها أكفانك ولوازم غسلك ودفنك.(أجابت الزوجة ببرود)

– هكذا إذن؟ انتظريني دقيقة واحدة.

سارع حسن بالخروج واستدعى عدداً من جيرانه وطلّقها في حضورهم. ولم تمضِ سوى أيام حتى تزوج من امرأة عاقلة طيبة عاش معها في سعادةٍ وهناء!

الملا الفاسق

يُحكى أن احد الملالي تعلق بجارة له وهام بها عشقاً بادلته إياه. وكان كلما أراد أن يعرف إن كان زوجها في البيت أو خارجه، يصعد إلى سطح المسجد وينادي:

الله اكبر الله اكبررر... صاحبنا هنا أم سافررر؟

وعندما تريد الزوجة الخائنة أن تعلمه بأن زوجها خرج من البيت أو سافر إلى مكان فإنها ترفع ساقيها من تحت المهد وتنادي:

– الله اكبر الله اكبررر.. صاحبنا في القافلة غادررر!!

وهكذا يطمئن ويذهب اليها.

في إحدى الليالي، وبينما الملا في أحضان المرأة التي غاب زوجها في سفرة مع قافلة من التجار قال لها:

– علينا أن نفكر في طريقة كي نبعد زوجك عن القرية لفترة طويلة حتى يفرغ لنا الجو ونتمتع كما نشاء.

– وكيف هذا؟

– اسمعي، لقد واتتني فكرة: عندما يعود زوجك من السفر تظاهري بأنك مريضة وابقي في السرير، وضعي تحت جنبيك شيئاً من رقاق الخبز وتقلبي على الجانبين حتى يظن صوت تكسر الخبز صادراً من أضلاعك المتوجعة، ثم أخبريه بأن الأطباء والحكماء

قالوا ان دواءك موجود في جزيرة وراء البحار السبعة، وهكذا سيتأخر عنا زمناً طويلاً، وربما لا يعود.

فعلت المرأة ما طلب منها الملا، وهرعت إلى فراشها حالما عاد زوجها من القافلة وتظاهرت بالمرض ووضعت تحتها من كل جانب كسرة خبز رقيق يابس وأخذت تبدي الدلال لزوجها وتتقلب وتتأوه، فظن الزوج المخدوع بأن صوت تكسر الخبز ليس إلا قرقرة أضلاعها وعظامها. ولأنه رجل طيب القلب صافي النية يحب زوجته كثيراً فقد تعهد بأن يجلب لها الدواء حتى لو كان في آخر الدنيا. وهنا حانت الفرصة للزوجة الماكرة فقالت له:

- لقد أخبرني الأطباء والحكماء بأن دوائي لا يوجد إلا في جزيرة وراء البحار السبعة.

ولم يتأخر الزوج كثيراً، فجهز حقيبته وودع زوجته وانطلق خارجاً للبحث عن الدواء المزعوم. وهكذا خلا الجو للخائنين، فكان الملا يأتي إلى المرأة مع حلول الظلام ويقضيان الليل كله في اللهو والفجور ولا يغادر بيتها إلا في الصباح!

مرت الأيام والأسابيع والزوج ينتقل من قرية لقرية ومن مدينة لمدينة سائلاً عن طريقة لبلوغ تلك الجزيرة لكن دون جدوى، حتى التقى ذات يوم بشيخ حكيم خبر الحياة فقص عليه حكايته. أصغى الشيخ لحديث الرجل ثم قال له:

– اصغ الي يا ولدي: هذه الجزيرة التي تتحدث عنها لا وجود لها في الواقع. عُد إلى بيتك وزوجتك سريعاً، فلا بد أنها فعلت ذلك لتتخلص منك ويخلو لها الجو لخيانتك مع عشيقها.

فكر الزوج ملياً فيما قاله الشيخ ووجده معقولاً، فاستدار على عقبيه ومضى من فوره عائداً إلى قريته، وعندما اقترب منها لبث بضع ساعات حتى نزل الليل وتلثم حتى لا يتعرف عليه أحد وتوجه إلى بيته وطرق الباب مدعياً بأنه مسافر غريب يطلب المبيت، وفوجئ عند دخوله بوجود الملا مع زوجته لوحدهما وبأنه يتصرف كأنه صاحب البيت، لكنه تريث والتزم الصمت. غير انه لاحظ بأن الملا يقترب بين الفينة والأخرى من زوجته ويحتضنها ويقبلها وهي راضية سعيدة فلم يطق صبراً وكشف عن وجهه.

ارتبك الخائنان وعلاهما الشحوب، وأخذ الملا يتوسل ويلتمس الأعذار:

– لا تذهب بك الظنون بعيداً يا جاري العزيز. لقد كانت زوجتك خائفة لبقائها وحيدة في البيت فجئت اليها كي أطمئنها وأخفف عنها وحشتها لوجه الله وحبا بعمل الخير!

– حسنا يا مولانا. سأصدق بأنك جئت لكي تسليها وتخفف عنها وحشتها. ولكن ما هذه الأحضان والقبلات؟ اتفعل هذا أيضاً لوجه الله وحباً بعمل الخير؟

ثم قام من ساعته وقتلهما وألقى لحمهما للكلاب!

ما بالقلب يبين في اليد

يُحكى أن ابنَي عم عاشا في إحدى القرى، كان احدهما ثرياً ميسور الحال والثاني فقيراً معدماً، فصارت زوجته لا تترك مناسبة إلا وتقول له:

– ابن عمك لا يحبك. وإلا ما كان يرضى بأن يتركنا بين الخلق على هذا الحال من الفقر والإملاق. نعم، فالمثل يقول "ما بالقلب يبين في اليد".

لكن زوجها الذي اعتاد ألا يصغي لها يجيبها:

– إنه ابن عمّي ومن دمي ولحمي في كل الأحوال.

في إحدى السنوات داهمهم شتاء قارس البرد وتواصل هطول الثلج والمطر. لم يملك ابن العم الفقير دابة ليذهب بها إلى الغابة ويحتطب بعض الخشب لعياله، فقالت له زوجته:

– اذهب إلى ابن عمك واستعر منه حماره واجلب لنا حملاً من الحطب.

ذهب الرجل إلى ابن عمه وطلب منه أن يعيره حماره، لكن ابن العم الغني اللئيم اعتذر قائلاً:

– صدقني يا ابن العم: لقد أرسلتُ الحمار مع قطيع الأبقار الخارج للمرعى وإلا كنت أعرتك ايّاه.

جرجر صاحبنا أقدامه خائباً، لكن التفاتة صدرت منه فوقعت عيناه على أذني الحمار من وراء باب الزريبة، فحزن واغتمّ وتذكر

كلام زوجته، ولم يجد بداً من التوجه إلى احد اصحابه القرويين ليطلب منه حماره، فأجابه الرجل:

- إلى اين تمضي في هذا الثلج والمطر؟ تفضل خذ حملاً من حطبنا واذهب به لأطفالك حتى وقت آخر.

فشكره الرجل واخذ حمل الحطب واشعله امام عياله.

مضت أيام وجاءت أيام، وحدث أن تعارك احدهم مع ابن العم الغني ورفع سلاحه فأرداه قتيلاً، ثم فرَّ من القرية هائماً على وجهه في الدنيا الفسيحة. تقادمت المسألة ومرّت عليها السنون. وفي يوم ما كان ابن العم الفقير يسافر مع صديق له، فإذا بالصديق (وكان مسلحاً ببندقية) يبصر رجلا يمر من امامهما.

انظر (صاح الصديق) هذا هو قاتل ابن عمك. هاك خذ بندقيتي وخذ بثأرك منه.

اخذ صاحبنا البندقية وسددها نحو ظهر القاتل وانتظره صديقه كي يطلق النار، لكنه لم يفعل.

هيا. أضغط على الزناد قبل أن يشعر بك.

- والله يا اخي لا استطيع ان ارى بسبب اذني الحمار! كيف لي ان اطلق النار وانا كلما اغمض عيني ارى اذنيه امام ناظري؟

- ماذا؟ عن أي حمار تتكلم؟!

قص عليه صاحبنا حكايته مع ابن عمه والحمار ثم قال:

- ارايت؟ هل انا على حق ام لا؟

نسأل الله الا ندير ظهورنا لأعدائنا بسبب آذان الحمير!

فرسان مريوان الاثنا عشر

يُحكى أن ملك إيران نادر شاه، عزم ذات مرة على غزو مدينة الموصل التي كانت آنذاك بيد الأتراك. وكان عليه، لكي يصل اليها، أن يجتاز أراضي إمارة بابان التي يحكمها في ذلك الوقت ابراهيم باشا المتخذ من قلا جولان (قرب السليمانية الحالية) مقراً لحكمه.[1] وقف نادر شاه بجيشه الذي قوامه اثنا عشر الف جندي على تخوم الإمارة، وبعث رسولاً إلى ابراهيم باشا يطلب منه أن يفسح له الطريق للمرور من خلال أرضه متوجها نحو هدفه، مدينة الموصل.

كان الأمير ابراهيم باشا قد عقد قبيل ذلك اتفاق صداقة وتعاون مع الأتراك، ولم يشأ أن ينكثه ويثير غضبهم. ثم إنه كان يدرك تماماً الخراب الكبير والثمن الباهظ الذي سيدفعه مواطنوه من جراء مرور هذا الجيش الأجنبي الكبير في بلاده، وربما تحولت بلاده إلى أرض

---

١. هذه الحكاية ليست خالية من الجذور التاريخية، وهي تشير إلى حادثة حقيقية استبسل فيها اثنا عشر فارساً من إمارة بابان في وجه قوة مهاجمة كبيرة، لكن التاريخ يختلط بالخيال إلى درجة كبيرة في رواية أحداثها، سواء من قبل المؤلف الفولكلوري المجهول، أو من قبل الأدباء والشعراء الذين وظفوها في أعمالهم الأدبية. بل إن إحدى الروايات التاريخية تؤكد بأن أحداثها جرت في زمن الحاكم البابانى سليمان باشا، لا إبراهيم باشا، وبأن نادر شاه نفسه كان قد فارق الحياة قبل وقوعها!

معركة بين الاثنين[1]، فأرسل إلى نادر شاه جوابه بالرفض. عندها استعر غضب الشاه وقرر أن يقتحم أراضي الإمارة بالقوة ومهما كلف الأمر.

وصل الخبر إلى ابراهيم باشا، كما أبلغه عيونه بالموعد المحدد للغزو الايراني، لذا سارع إلى جمع جيش مما بين يديه من المحاربين. وشكل قوة من اثني عشر فارساً شجاعا محنكاً مع مساعديهم لتكون طليعة لجيشه وارسلها أمامه. نزل الفرسان من قلاعهم واقتربوا في جنح الظلام من معسكر نادر شاه في سهل مريوان وتوزعوا زمراً من فارسين أو ثلاثة، واقتحموا المكان محدثين فيه فوضى وشغباً عظيمين. كانت ليلة ممطرة مثلجة حالكة الظلام، فظن الايرانيون انهم حوصروا من قبل قوة كبيرة، وصاروا يتخبطون ويقتل بعضهم بعضاً، فاختلط الحابل بالنابل واوقعوا مذبحة حقيقية بين صفوفهم. وعندما انبلج الصباح اكتشفوا ما فعلوه بأنفسهم، فزاد جزعهم وارتباكهم وخارت قواهم وما كان منهم إلا الانسحاب مجرجرين أذيال الخيبة.

وعندما وصل جيش ابراهيم باشا إلى ساحة المعركة المفترضة، لم يجدوا غير خيام محروقة وبقايا معسكر مهجور لجيش عظيم لقي الهزيمة على يد اثني عشر فارساً مقداماً ضحوا بحياتهم وكتبوا بدمهم هذه الملحمة.

---

١. كان لوقوع الإمارات الكردية المستقلة (ومنها الإمارة البابانية) بين القوتين الاقليميتين المهيمنتين على المنطقة (تركيا وايران) واضطرارها إلى مجاراة إحداهما أو الرضوخ لنفوذها واطماعها أثر كبير في إضعاف تلك الامارات وتزايد الصراعات بينها وفقدان استقلالها ثم زوالها.

عاقبة البخل

يُحكى أن حمّالاً عاش في إحدى المدن الكبيرة. كان شاباً قوي البنية مفتول العضلات، لكنه يتقلب في فقر مدقع يضطره أحياناً إلى النوم جائعاً. ذات يوم ناداه أحد التجار الكبار وطلب منه تنظيف مخازنه وترتيبها. فرح الحمّال بفرصة العمل هذه ووعد نفسه بدرهم ولقمة هنيئة، فانكب على العمل بحماس وإخلاص حتى انتهى منه في وقت متأخر من العصر ووقف أمام التاجر ينتظر أجره. غير أن التاجر البخيل أخذ يتملص ويخترع الأعذار، وادعى بأن الحمّال لم يحسن عمله وأنهاه سريعاً ولن يقبض منه فلساً!

ذهبت توسلات الحمّال أدراج الرياح، فاضطر إلى مغادرة الدكان متعباً وجائعاً، وراح يتجول في أزقة المدينة آملاً أن يحظى بكسرة تسد جوعه، فوقف عند أحد البيوت وطرق الباب، فخرجت له امرأة جميلة وسألته عما يريد.

– جائع فقير لم تدخل بطنه لقمة من يومين.

– وكيف هذا وأنت بهذه القوة والشباب؟ لم لا تبحث عن عمل شريف؟

– آه يا سيدتي لو تعرفين حكايتي!

وخنقته العبرة، فطلبت منه المرأة أن يوضح لها مقصده، فقص عليها ما جرى له مع التاجر الذي أنكر عليه حقه. عرفت المرأة من

خلال أوصاف الدكان ومكانه وشكل صاحبه بأن التاجر المقصود لم يكن سوى زوجها الذي عانت منه ومن بخله الأمرّين، فطلبت من الحمّال أن يدخل، وقدمت له طعاماً شهياً، ثم أهدته ليرة ذهبية وطاقماً من ثياب زوجها الفاخرة، ورجته أن يعود إليها ظهيرة الغد. شكر الحمّال السيدة المحسنة وخرج من بيتها وهو يدعو لها بالخير، ومضى في طريقه مروراً بالسوق وبدكان التاجر الذي ما أن رآه حتى عرف بأن هذه الثياب الجديدة ليست سوى ثيابه. فناداه وطلب منه أن يحدثه عن سر تبدل الأحوال. قص الحمّال ما جرى له مع السيدة بكل تفاصيله، فاستشاط التاجر غضباً وراوده الشك في زوجته.

في اليوم التالي وعندما دخل الحمّال إلى البيت وجلس بانتظار الغداء الموعود، عاد التاجر إلى البيت على غير عادته وطرق الباب بقوة، اجفلت المرأة وصاحت:

– يا ويلي... هذا زوجي! لو رآك هنا لقتلك في الحال. تعال لكي اخبئك. ادخل تحت هذه السلة ودعني اغطيها بهذه الملاءة.

دخل التاجر البيت والشرر يقدح من عينيه.

– خيراً يا زوجي العزيز، ما الذي أتى بك في هذا الوقت على غير عادتك؟ ولماذا يبدو عليك الانزعاج والكدر؟

– لا شيء، اعاني من بعض الصداع والتعب، فقررت العودة إلى البيت ونيل قسط من الراحة.

– حسنا فعلت. الغداء جاهز، سأحضر لك الطعام.

- لا رغبة لي بالأكل، قلت لك إن رأسي يؤلمني.

راح التاجر يقلب النظر في أرجاء البيت حتى استقرت عيناه على سجادة قديمة ملفوفة كانت الزوجة قد أخرجتها إلى الفناء استعداداً لتنظيفها، فهب نحوها واستل خنجره وانهال عليها طعناً وتمزيقاً.

- ما بالك يا رجل؟ لماذا تمزق السجادة؟

- لا شيء. إنها سجادة قديمة بالية لا تليق ببيت تاجر مثلي. سأشتري واحدة جديدة. ما نفع المال إذا لم ننفقه؟! سأعود الآن إلى دكاني وسأصحب معي في الليل من يحملها ويلقيها في النهر.

- كما تشاء.

وما أن غادر التاجر حتى أسرعت المرأة إلى الحمّال وأخرجته من تحت السلة وأطعمته وأهدته ثياباً جديدة وليرة ذهبية وطلبت منه العودة في الغد. ومضى الحمّال إلى بيته مروراً بدكان التاجر الذي جن جنونه، لكنه تمالك نفسه ونادى عليه وطلب منه أن يقص عليه ما حدث، فروى له كل شيء.

أسرّها التاجر في نفسه وتوجه إلى بيته في الموعد المتفق عليه بين الحمّال وزوجته التي ما أن أحست بقدومه حتى أمرت الحمال بالنزول إلى بركة الماء التي تتوسط الباحة بعد أن وضعت في رأسه جرة فخارية قديمة فيها ثقب يسمح بالتنفس، ثم ألقت لوحاً من الخشب كي يتمسك به ولا يغوص في الماء. لم ينتظر الزوج كثيراً، بل توجه حال دخوله إلى السلة ونزل عليها طعنا بالسيف. صاحت المرأة:

- ما خطبك يا زوجي؟ بالأمس قطعت السجادة واليوم تمزق السلة. ما الأمر؟

- لا شيء، انهما قديمتان ويجب التخلص منهما. ما نفع النقود إن لم ننفقها؟!

قدمت الزوجة الطعام، فهجم عليه التاجر لأنه من شدة الغيرة والغضب، لم يأكل شيئا منذ يومين. ثم احضرت طبقاً من شهي التمر ووضعته بينهما وقالت:

- اجلس قليلاً كي نتسلى. دعنا نلعب هذه اللعبة: كل تمرة نأكلها نسدد نواتها نحو تلك الجرة التي بالبركة. من يحسن التسديد ويسقط النواة فيها يأخذ من صاحبه ليرة ذهبية.

- حسنا، لنبدأ!

رغم أن الحمّال لم يكن يراهما جيداً، لكنه كان يسمع ما يدور بينهما ويستطيع رؤية الأنوية وهي تتجه نحوه، فأخذ يبعد رأس الجرة كلما رما الزوج نواة كيما يخطئها، ويفعل العكس كلما رمت الزوجة حتى تجمع فيها اكثر من ثلاثين نواة جميعها من حصة الزوجة.

- كفى! (قال الزوج) أنا اعترف بهزيمتي. هاك ثلاثين ليرة وسأعود أنا إلى دكاني.

وغادر البيت حانقاً، فسارعت المرأة إلى اخراج الحمّال من الماء وأهدته طاقماً جديداً من الثياب، ثم دفعت إليه بالليرات الثلاثين وقالت له:

- هاك. سوف تصبح ميسور الحال بما معك من مال، وسوف تفتح دكاناً تعتاش منه. اذهب الآن ولا تعد.

لهج الحمّال بشكرها وغادر البيت، فرآه التاجر وجن جنونه فناداه، وطلب منه أن يقص عليه ما جرى، فحدثه بكل شيء لأنه لم يكن يعرف أن تلك الشابة هي زوجة التاجر لا غير.

- اسمع يا أخي (قال التاجر بوداد مصطنع) لقد أسأت اليك في المرة السابقة ولم اعطك أجر عملك. اسمح لي أن أدعوك الليلة إلى العشاء لعلك تقبل اعتذاري.

رفض الحمّال وتعلل بالأعذار، لكن التاجر لم يتركه حتى تواعدا على أن يجيئه الحمّال إلى الدكان في وقت العشاء كي يصحبه إلى بيته. ثم أسرع التاجر إلى أشقاء زوجته وأخبرهم بأنها امرأة فاسقة وتخونه مع أحد الحمّالين، وطلب منهم أن يحضروا إلى بيته للعشاء كي يستمعوا للحمّال وهو يدلي باعترافاته. استشاط الأخوة غضباً وقالوا له:

- اسمع يا هذا. نحن نعرف أختنا تمام المعرفة ومتأكدون من عفتها وشرفها، لكن إذا ثبت ما تقول سوف نقطعها إرباً إرباً أمام ناظريك، أما إذا كنت تروم الإساءة إلى شرف أسرتنا وتتهمها زوراً وبهتاناً فلن تلوم إلا نفسك!

بعد الغروب، جاء الحمّال إلى دكان التاجر، فاصطحبه الأخير إلى بيته وأدخله من باب في زقاق خلفي كي لا يدرك بأنه يدخل البيت نفسه. ثم جلس الجميع وتناولوا العشاء.

- والآن يا صاحبي (قال التاجر للحمّال) لقد أعجبتني حكايتك مع تلك المرأة التي كنت تدخل بيتها في غياب زوجها. حبذا لو أعدت روايتها للضيوف كي يتسلوا قليلاً.

- بكل سرور!

طفق الحمّال يروي مغامرته. كانت الزوجة واقفة خلف الباب تسمع مما يدور، فأحست بما يخطط له زوجها فنادت على ولدها الصغير وأمرته بدخول غرفة الضيوف والجلوس مع أخواله. حالما رأى الحمّال الولد حتى عرف كل شيء فتوقف عن الكلام.

- هيه.. وماذا حدث بعد ذلك؟

سأله الأخ الكبير وهو يتحسس مقبض خنجره.

- إلى أين وصلنا؟

- إلى لحظة دخول التاجر إلى البيت وانقضاضه على السلة.

- آه، نعم. في تلك اللحظة شعرت بخوف شديد فصرخت واستيقظت من نومي!

- ماذا؟ أكان حلماً إذن؟!

- بالتأكيد! وماذا كنتم تظنون؟

- لا شيء.

نظر الأخوة إلى بعضهم البعض واستلوا خناجرهم وتقدموا من التاجر الذي شحب من الخوف.. وأنتم تعرفون البقية: بعد بضعة أشهر كان الحمّال قد تزوج من الأرملة الجميلة، وورث كل ما يملكه التاجر اللئيم الذي بخل عليه بدرهم وحيد.. بيته وزوجته ودكانه وأمواله الطائلة!

حكاية الأخوين الفقيرين

يُحكى أن أخوين بلغا من شدة الفقر واليأس من العثور على عمل أن حالهما صار يصعب على الكافر. في أحد الأيام قال الكبير للصغير:

– أخي الحبيب. سوف نهلك من الجوع إن بقينا على هذا الحال. فليقم واحد منا ببيع الآخر ونذهب في حال سبيلنا.

– انت أخي الكبير (أجابه الصغير) هلم نذهب إلى السوق كي تبيعني ونحن ونصيبنا!

وتوجها إلى سوق المدينة، فلاقيا مشترياً، دفع في الصغير مبلغاً اتفقا عليه، ثم اقتاد الفتى إلى بيته. مضت الأيام والشهور واشتاق الكبير لأخيه، فقصد قرية الرجل الذي اشتراه كي يزوره ويتفقد أحواله. وحين وصل القرية وسأل عنه أخبروه بأنه خرج للحراثة فتوجه من فوره إلى الحقول، ويا لهول ما رآه: كان أخوه مربوطاً إلى النير إلى جانب أحد الثيران وهما يجران المحراث الثقيل! اتقدت النار بقلبه وانهمرت دموعه وخاطب أخاه:

– سامحني يا أخي على هذا العذاب الذي أوقعتك فيه. لا عمّر الله بيت من كان السبب! لو كان شغّلنا لديه عاماً واحداً لما كنا بهذا الحال، ولكن ما العمل؟ ما باليد حيلة!

- كفكف دموعك يا أخي. لا يليق البكاء بالرجال. على المرء أن يتحمل ما يصيبه. بالأمس كدنا نموت جوعاً وها أنا اليوم على ما ترى، ولا يدري أحدنا كيف نكون في الغد. هكذا هي الدنيا الدوارة.

تعانق الأخوان وتوادعا ورجع الكبير إلى قريته. ومرّ عام وثان، وعاد الكبير لتفقد أحوال أخيه الصغير، فقيل له:

- أخوك اليوم هو كبير قريتنا وأغنى من فيها وهو جالس الساعة في مضيفه العامر.

لم يصدق الرجل ما قالوه وظن أنهم يسخرون منه، فقالوا له:

- انت لا تصدقنا كما يبدو. تفضل معنا إلى المضيف!

وحين دخل المضيف ورأى أخاه جالساً في صدر الديوان، عقدت الدهشة لسانه حتى نسي أن يلقي التحية. لكن الأخ الصغير هبّ من مجلسه وأخذه بالأحضان وأجلسه بجانبه وقدّمه إلى الحاضرين.

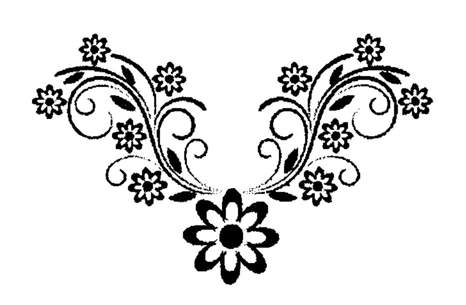
- ماذا يجري يا أخي؟ (قال الكبير) بالأمس كانت عنقك مربوطة إلى المحراث واليوم تجلس بصدر الديوان كما الأمراء! كيف حدث هذا؟

- الم اقل لك أن الدنيا دوارة؟ الرجل الذي اشتراني كان كبير القرية. حين رأى أمانتي وصبري جعلني ابناً له، إذ كان محروماً من الأبناء، وعندما مات لم يجد أهل القرية غيري ليحل محله. قسماً براسك يا أخي إن هذا أيضا سيمرّ. لا أحد منا يعرف ما تخبئه له الأيام، فدع عنك هذا وهلم نحتفي بقدومك فقد أضناني الشوق إليك.

بقي الرجل في ضيافة اخيه اياماً ثم اقفل راجعاً لقريته. ومرّ عام آخر، فقصد قرية أخيه من جديد، فإذا به يراه راقداً على سرير المرض وهو يجود بأنفاسه الأخيرة.

- يا ويلتاه (صاح الرجل) ماذا اصابك يا شقيقي الحبيب وماذا بوسعي ان افعل لك؟!

- لا تفعل شيئاً يا أخي. الم اقل لك أن الدنيا دوّارة وأن كل شيء يمر ويتبدل. لكنها الدورة الأخيرة لي كما يبدو وها هو الموت الذي ليس منه فرار!



حكاية أمير هكاري وبشارة طائر الربيع

يُحكى بأنّ أميراً عاقلاً وحكيماً عاش في هكاري. كان اسمه حسن بيك. حديثه مليء بالحكم والتجارب والنصائح الثمينة. في أحد أيام الشتاء دار الحديث في مجلسه عن جليل الأعمال وخبيثها وعمّن يعرفون من الصالحين والطالحين، فقال أحدهم: فلان رجل صالح، وقال آخر: كلا بل فلان هو الصالح، وأدلى كل منهم بدلوه فيما كان الأمير ينصت لهم قبل أن يعلن عليهم:

- كل من يأتيني ببشارة مقدم طائر الربيع سأمنحه الهدية التي يشتهيها قلبه.

ظن القوم أن الأمير يتحدث عن الطيور التي تأتي إلى ديارهم مع قدوم الربيع. وهكذا، ومع انتصاف شباط وظهور طائر الشحرور سارع أحد الغلمان إلى الأمير وقال له:

- بشراك يا أميرنا، لقد ظهرت الشحارير وهذه علامة دنو الربيع.

لكن الأمير اكتفى بسماعه ولم يعلق بشيء، ففسر بعضهم ذلك قائلين:

- قد يكون السبب أن الشحرور يأتي في وقت مبكر للغاية فما زال الشتاء في أوجه والجبال لما تزل مغطاة بالثلوج.

وانتظر القوم حتى ظهرت أولى اللقالق فسارع أحدهم إلى الأمير قائلا:

- بشراك يا مولاي، أطال الله عمرك. لقد ظهرت اللقالق في سمائنا وهذه بشارة الربيع.

غير أن الأمير بدا كمن لم يسمع شيئاً، فقال الناس:

- ليس من عادة اللقالق أن تأتي في مثل هذا الوقت الباكر فمازال الجو باردا والطرقات يغمرها الصقيع حتى الضحى. ربما لم يحن أوان الربيع بعد.

وانتظروا أياماً أخرى، وعندما اقبل نوروز قال الجميع:

- مجيء طيور الحجل دليل ابتداء الربيع. ليس للأمير عذر هذه المرة.

وأقبلوا على الأمير قائلين:

- بشراك أيها الأمير، لقد ظهرت طيور الحجل. قد ولى الشتاء وحل الربيع.

بيد أن الأمير لم ينبس ببنت شفة، فتعجب الناس وصاروا يضربون أخماساً بأسداس! ثم جاءت الغربان السود وبشروا الأمير بمقدمها ولم يعلق أيضاً. باختصار شديد، عادت كل الطيور التي تهاجر في الشتاء إلى گرميان (المناطق الحارة) وبشروا الأمير بقدومها واحداً واحداً، لكنه لم يعرهم اهتماماً.

في يوم ما، كان أكابر القوم من جلاس الأمير مجتمعين بغيابه، فقال أحدهم:

- ليتنا نعرف السبب وراء تلكؤ الأمير في تنفيذ وعده. ليس هذا منه بالفعل الحكيم، ما من أمير ينكث هكذا بوعد قطعه.

وقال رجل من بينهم يدعى "العم تال" وهو مشهور بدعاباته:

- انتظروا، سأذهب للأمير وأقول له بشراك يا أمير لقد ظهر طائر العقعق! سيكون من الأفضل أن نبشره بطيور الشتاء ما دام ممتنعا عن تكريم من يبشره بطيور الربيع!

ضحك منه الجميع وقالوا:

- أمجنون أنت؟ كيف تقدم على وقاحة كهذه؟ سيغضب منك الأمير.

- قسما بالله. سأقول له ما سمعتم حتى لو أمر بقطع رأسي!

ولا نطيل عليكم. أقبل العم تال على ديوان الأمير ووقف عند المدخل وانحنى أمامه وقال:

- بشراك يا سيدي، لقد ظهرت طيور العقعق.

فرح الأمير وقال:

- بُشرت بالخير. مرحبا بك وببشارتك. نِعمَ العقل ونعم الفهم!

ظن العم تال أن الأمير يسخر منه، لكن الأمير قال لخدمه:

- اجلبوا للعم تال طاقماً من أفخر ثيابي.

فخرجوا وعادوا به في الحال وقدموه للرجل فقال الأمير:

- مبارك لك ما نلت من جائزة!

دهش الحاضرون وسألوا الأمير:

- يا للعجب! لقد جاءك الناس ببشرى قدوم أنواع الطيور الجميلة التي تقصد رياضنا كل ربيع لكنك لم تمنحهم ولو مكافأة صغيرة بينما رايناك تهب هذه الجائزة القيمة لمن جاءك بخبر طائر العقعق الذي يتغذى على الفضلات ويعيش في المزابل طيلة فصول السنة، ألم يكن من المفترض أن تفعل العكس؟ نحن لا نفهم مرامك فهلا تكرمت علينا بإيضاح؟

- يبدو بأنكم لن تفهموا مقصدي حتى أشرحه لكم: طيور الربيع التي زعموا انهم بشروني بها لا تبحث إلا عن مصلحتها. إنها تأتي الينا في أوقات السعادة والخير، لكنها سرعان ما تتركنا أوقات الضيق وحين يدنو البرد والشتاء ويقل الطعام، أما هذا العقعق الذي تقللون من شأنه وتعيبون عليه أنه يرتاد المزابل ويأكل الأقذار فيبقى وفياً لموطنه ولمن يعيش معه حتى في أوقات الشدة، فهو إذن نعم الصديق وخير من يستحق البشارة برؤيته!

ثمن الريح ريح

يُحكى أن حاكماً بإحدى الولايات أراد أن يطلع عن كثب على أحوال رعيته ورأيهم فيه وفي حكمه، فاصطحب وزيره الأمين وأبدلا ثيابهما بثياب مسافرين من العامة، ومضيا ماشيين في الطريق الخارج من بوابة المدينة. وبعد مسيرة ساعتين أبصرا من بعيد قروياً يتقدم نحوهما على حماره.

حياهما القروي، فردا التحية، ثم استظل الجميع تحت شجرة كبيرة وأخرجوا طعامهم وجلسوا ليأكلوا ويتبادلوا الأحاديث:

– من أين أتيت أيها الرجل الطيب؟ وعلام تلفّ عينك بهذا الرباط؟

– قدمت من قرية بعيدة، هناك خلف تلك الجبال (وأشار بيده نحو الأفق) لقد انتشر داء الرمد في عيون أهلها فلم يدع كبيراً أو صغيراً أو رجلاً أو امرأة إلا وأصابه. أما أنا فلم أعرف النوم منذ ليال. إن عيني لتحرقني وتؤلمني ألماً لا يعرف الرحمة.

– وإلى أين تروم المسير؟

– لقد سمعت بأن كحالاً ماهراً يعيش في المدينة الكبيرة، وأنا ماضٍ إليه علّه يصف لي دواء يشفيني وأهل قريتي المساكين.

غمز الحاكم بعينه لوزيره وقد قرر أن يعابث القروي الغريب:

– وعلام تتعب نفسك وتدفع المال لذلك الكحّال؟ أنا وصاحبي عندنا وصفة عجيبة وسهلة ومجربة ستشفيك في الحال بإذن الله.

- إليّ بها ولكما الأجر والثواب.

- اسمع: خذ درهما من أوراق الكمأ، وقليلاً من غبار الماء، ودرهمين من شعاع الشمس ودقّ الخليط في هاون، ثم ادهن عينك به ونم، وستجد نفسك مشافى معافى عندما تصحو في الصباح!

فكر القروي قليلاً في حديث الرجل وقال في نفسه:

- ليس للكمأ أوراق، وليس للماء غبار، وشعاع الشمس لا يوزن ولا يكال. لا بد أن هذا الرجل يحاول السخرية مني.

ثم نهض من مجلسه ووضع صرته في الخرج وقفز على ظهر حماره وأطلق من مؤخرته ثلاث "ضرطات" مسموعة وغادرهما قائلا:

- أشكرك أيها الرجل الحكيم. هذه دفعة من ثمن دوائك العجيب. أخبرني بعنوانك حتى أرسل لك الباقي عندما أشفى!

حلم البعير

يُحكى أن بعيراً كان لا يخاف من شيء مثل خوفه من الذئاب. كان "العم ذئب" ينتابه حتى في الأحلام، وهي أحلام تحفل كلها بالحوادث السيئة وتنتهي في العادة بموته!

لكن، وفي ليلة من الليالي، رأى البعير أخيراً حلماً سعيداً: رأى ضياء ينزل من السماء إلى الأرض ويحط على رأس الذئب ويضع عليه تاجاً من الذهب. ما أن حل الصباح حتى سارع بالذهاب إلى منزل "ذئب أفندي" وطرق بابه.

حين أبصره الذئب لم يصدق عينه وراح يفركهما بشدة، وعندما أيقن بأن ما يراه حقيقي قال للبعير:

– لقد كنت أبحث عنك في السماء وها أنا أراك أمامي بشحمك ولحمك!

لكن البعير سارع ليقول للذئب:

– انتظر واسمع مني. لقد رأيت لك حلماً رائعاً.

– اسرع وقصّه عليّ قبل أن آكلك.

شرع البعير بسرد كل ما رآه، ففرح الذئب أيما فرح وهتف:

– خيراً إن شاء الله. عسا حلمك أن يتحقق! منذ وقت طويل وأنا أفكر بأن السلطنة لا تليق إلا بي. سأذهب إلى الأسد في الحال وانتزع منه كرسي الحكم، شاء أم أبى.

ثـم انطلـق نحـو قصـر الأسـد يتبعـه الـبعير. وصـارا كلمـا التقيـا بحيوان وقصا عليه حلم البعير امتدح الذئب وشـهد لصـالحه وأبـدى لـه عظـيم الاحـترام ثـم التحـق بالركـب، فـازداد الـذئب عظمـاً وفخـراً واعتداداً بنفسه حتى وصل الجميع إلى بوابة قصر السلطان. عنـدما رأى الأسد من شرفة قصـره هـذا الحشـد مـن الحيوانـات وقـد تقدمـه الذئب صاح فيهم:

– ما هذا؟ ما الذي يجري؟

فأجابه الذئب في اعتداد:

– هيا. انزل عن كرسي الحكم فلقد جاء دوري لأكون أنا صـاحب الجلالة في هذه الغابة!

ظن الأسد بأن الذئب يمزح معه، لكنه حين تيقن من جدية حديثه استشـاط غضـباً وزأر زئـيراً عظيمـاً ونـزل إلى الـذئب كـي ينازلـه، فأنشب فيه مخالبه وأنيابه والذئب يولول ويصـيح ويطلـب النجـدة، حتى نجح أخيراً في الخلاص من يديه والفرار منه وهو يلعق جراحـه فنادته الحيوانات ساخرة:

– إلى أين أيها الذئب العزيز؟ ألم تكن تطالب بالحكم والسلطان؟!

فنظر الذئب نحوهم وقال بفم تسيل منه الدماء:

– لا تسألوني أنا. كان هذا حلم البعير وأنا لم أفعل ما فعلت إلا لأنـني صـدقته. أرأيـتم أحداً نـال عرشا عـن طريـق الأحـلام؟ لقـد كنت مغفلاً فغرّني حلمه وكنتم أكثر مني حمقاً فمضيتم خلفي!

حكاية لاس وغزال

من الملاحم الشعبية لمنطقة كَرميان

يحكى أن شاباً معروفاً بشجاعته وبأسه ويدعى أحمد، كان يتجول لغرض اللهو والصيد في منطقة كرميان. في إحدى الأيام توقف أحمد قرب عين للماء، فرأى شابة تملأ جرتها وطلب منها أن تسقيه، ففعلت دون أن تكشف عن وجهها أو تنظر اليه. قال أحمد في نفسه "لو جعلك الله من نصيبي فلن المسك إلا إذا حللتِ بيدكِ تكّة سروالي!".

طفق أحمد يتنقل هنا وهناك سائلاً عن الفتاة وأهلها حتى قيل له أنها ابنة أحد مشايخ العرب، فتوجه إلى قريته وطلب يدها منه. قالت امرأة الشيخ لزوجها "علينا أن نضع شروطاً صعبة كي لا ينال الفتاة. أطلب منه مئة بعير ومئة رأس من الأغنام مهراً لها" لكن أحمد وافق دون تردد، بعد أن وضع هو الآخر شرطاً هو أن يخرج هو وعروسه من بيت الشيخ لوحدهما دون أن يصحبهما أحد. رضي الشيخ بهذا، وركب كل من أحمد وعروسه حصانيهما ومضى بها إلى دياره بعد أن شد لجاميهما وسار وهي في الأثر. غير أن الشيخ ندم على تزويج ابنته الأثيرة لهذا الرجل الغريب، فأرسل عدداً من فرسانه وكلفهم أن يعودوا بالفتاة ولو اضطروا إلى قتله. بيد أن

احمد وقف في وجههم وقاتلهم كالأسود واردى بعضهم بينما لاذ الآخرون بالفرار.

وصل أحمد وزوجته إلى بيتهما، لكن شيئاً مما يجري بين الزوجين لم يحدث بينهما ولم يلمسها قط. وبعد شهور زارت الفتاة أهلها واخبرت أمها بالأمر وقالت "اظن ان هذا الذي زوجتموني منه هو امراة مثلي!". غضبت الأم واخبرت الشيخ، فقرر تطليقها من احمد وتزويجها من ابن عمها وليكن ما يكون. وحدث ان فأرة دخلت خيمة العريسين ليلة دخولها عليها، فقام العريس وقتلها ورفعها من ذيلها ليريها لها وهو يقول في فخار: "انظري يا ابنة العم. هل ترين مقدار شجاعتي ورجولتي؟!"

قالت الفتاة في سرّها: "ها انت تمتدح نفسك لأنك قتلت فأراً صغيراً بينما قتل احمد مئة رجل من قومي فقط ولم اره يوماً يمتدح نفسه. وعدا عليّ ان لا اهبك نفسي ابداً!". كانت فتاة قوية البنية فقامت وصرعت ابن عمها وشدّت وثاقه إلى عمود الخيمة. في صبيحة اليوم التالي جاء أهلها ليجلبوا لهما إفطار العرس فأبصروا العريس على هذا الحال وحكت الفتاة لأبيها تفاصيل ما جرى.

بعد يومين رجع احمد ليعيد زوجته فوقع الشيخ في حيرة، إذ لم يكن يريد أن يتركها تذهب معه لكنه لم يكن يجرؤ على منعه، ففكر في طريقة يتخلص بها منه وقال له:

– في أطراف قريتنا ثمة نمر كبير شديد البأس يمنعنا أن نرعى حيواناتنا أو نعتني بمزروعاتنا. ليتك قتلته قبل أن تعود لبيتك.

وافق احمد على المهمة وانطلق إلى حيث النمر، ففرح الأب، إذ ظن أن النمر سيفترسه لا محاله ويخلصه منه إلى الأبد.

بعد ان خرج أحمد لملاقاة النمر، رق قلب الفتاة وخشيت أن يصيبه مكروه وحدثت نفسها قائلة:

– أي رجل جسور هذا ليخرج وحيداً ليصطاد ذلك الوحش الكاسر! لا بد ان الحق به وأن اموت معه إن مات!

لكنها حين وصلت الغابة لم تجد غير حصانه مربوطاً إلى إحدى الأشجار، فظنت أن النمر افترسه فجزعت عليه وأخذت تدور في الأرجاء باحثة عن أي أثر له، ففوجئت به نائماً فوق جلد النمر المسلوخ في ظل شجرة اسمها (لاس). ذهلت الفتاة وقالت:

– يا له من رجل باسل شجاع! ولكن لماذا لم يقترب منها كل هذا الوقت وهو على كل هذا القدر من القوة؟ أيعقل بأنه ليس بالرجل؟

وهنا خطر لها أن تستغل الفرصة وتحل تكّة سرواله وترى بنفسها إن كان يملك عدّة الرجال!

ما أن مدت يدها وفعلت ذلك حتى هبّ زوجها من نومه وقال لها:

– ما هذا الذي تفعلينه يا امرأة؟

اضطرت الفتاة إلى الاعتراف بالسبب، فضحك واعترف هو الآخر بأنه وعد نفسه منذ أول يوم رآها فيه عند النبع بأن لا يلمسها ولا يعاشرها إلا إذا بادرت هي بفكّ تكة سرواله!

وهناك، في ظل شجرة اللاس تلك، تعانقا وتبادلا كؤوس الغرام. ولم تمض تسعة أشهر حتى رزقا بولد كأنه القمر، وقررا أن يطلقا عليه اسم (لاس) تيمنا باسم تلك الشجرة!

مهلاً، فإن قصتنا لم تنته بعد، بل لم تبتدئ إلا الآن! فلقد كبر هذا الولد حتى غدا شاباً جميل المحيّا فارع القوام، لكنه لم يعثر بعد على فتاة أحلامه. وفي أحد الأيام قدم أحد الدراويش الجوّالين إلى قريته فذهب لاس اليه وقال له:

- انت يا عم تلف وتدور في المدن والقرى وترى وتسمع الكثير، فهلا عثرت لي على فتاة جميلة كريمة الأصل.

ذهب الدرويش ودار ودار حتى التقى ذات يوم بالحسناء غزال ابنة الملا نبي، فبهره جمالها وخلقها، فحدثها عن لاس ومكارمه وجمال طلعته وحسن اخلاقه وكل صفاته، حتى صار بإمكانها أن تتعرف عليه إذا ما رأته، وصار الدرويش يروح ويجيء بينهما حتى عشق احدهما الآخر قبل أن يلتقيا!

لم يعد لاس يطيق صبراً فطلب من الدرويش أن يدبر طريقة كي يتقابلا، فقال له: عليك أن تتنكر بثياب الدراويش وتذهب إلى قريتها وتتحدث إليها وتتعاهدان على الحب والوفاء. ارتدى الفتى ثياب الدراويش ومضى إلى قرية الفتاة، وحين دنا من شرفة بيتها طفق يصيح:

- درويش أنا درويش. ومن لم يعط للدرويش حقه ابتلاه الله بالداء والبلاء!

تعرفت غزال على لاس حالما رأته، لكنها خشيت أن يكشفها الناس، فنادت على الحلاّبات وطلبت منهن أن يعطينه بعض الزبد ويقلن له:

- اعذرنا يا درويش، فغزال بنت ملا نبي ليست بخيلة لكن كل الحليب الذي لدينا صنعنا منه سمناً هذا الصباح.

وكان مقصدها بالطبع أن تعرّف لاس بنفسها.

لبث لاس في القرية حتى حل الليل، فطلب منه الرعاة أن يجلس معهم للسمر والغناء، وكان من عادتهم أن يجتمعوا ثم يغني كل واحد من الحاضرين موالاً (نوعا من الغناء يدعى حَيران) وإلا ترتبت عليه غرامة بسيطة. اعتذر لاس عن المشاركة مدعياً أنه لا يعرف الغناء، لكن الرعاة ألحوا عليه ولم يتركوا له سبيلاً للتملص فأذعن لهم وقال:

- أنا يا أخوتي لا أحفظ حَيراناً بعينه، لكنني سمعت بالأمس بعضاً من الرعاة في أطراف قريتكم يغنون اغنية اعجبتني فإذا تعهدتم لي الا تغضبوا سأغنيها لكم.

- كلا لن نغضب، نعدك بهذا. (أجابه الرعاة)

فطفق لاس يغني:

- إيه إيه.. ليلي.. وأنا أسير في طريقي

أبصرت حسناء مثل صفصافة فارعة

يخرب بيتِك ما هذه الرقة والجمال؟

ما هذه المشية الملأى بالدلال؟!

ما كنت أعرف أنها غَزال ابنة ملا نبي

يا ليتني أرقد ليلة واحدة

عند قدّك الفارع

ولأعش بعدها حافياً عارياً كما الدراويش!"

غضب الرعاة عندما سمعوا ذلك وقاموا كي يضربوه وهم يصيحون:

- يا ابن الكلب! هل تجرؤ على التغزل بفتياتنا؟

لكن غزال التي كانت تسمع ما يدور من شرفتها هتفت بهم:

- لا تمدوا يدكم اليه. الم تعدوه بألا تغضبوا منه؟ ما ذنبه إن نقل لكم، بحسن نيّةٍ، ما يتغنى به الرعاة ؟

عندما انتصف الليل التقى العاشقان واقسما على الوفاء والإخلاص والزواج في اقرب وقت. لكن والد غزال كان قد وعد، تحت الضغط والإكراه، رجلاً فظاً مؤذياً يُدعى "ويسي" بتزويجه إياها، وكان ويسي هذا قد كلف احد رعاة بيتها ويدعى "كَرَك" بمراقبتها ونقل أخبارها إليه اولا بأول. سمع الراعي بما دار في تلك الليلة بين لاس وغزال، فأسرع مع أول خيوط الفجر إلى بيت ويسي واخبره بكل ما رأى وسمع. غضب الأخير وجمع عصبة من أعوانه وهاجم بيت الملا. وعندما سمع لاس بذلك أسرع نحو بيت غزال وسأل عما يجري فقالت له:

- ابتعد انت يا حبيبي ولا تتدخل في الأمر فويسي هذا رجل شرير واخشى أن يصيبك بأذى.

لكن لاس برز وسط المتقاتلين وصاح:

– أين هذا المدعو ويسي الذي يدعي انه خطيب غزال؟ انا لاس، وأنا أتحداه ان ينازلني رجلاً لرجل. دعنا نتبارز ومن فاز منا فحلال هي عليه!

وهكذا اشتبك الرجلان في قتال مرير. أصيب لاس بسبعة عشرة جرحاً بينما نال ويسي عشر طعنات، غير ان جراحه كانت اشد غوراً وخطورة فمات في مكانه. أما لاس فقد سارعوا إلى علاجه فتماثل للشفاء. ثم إنه تقدم لخطبة حبيبته فوافق والدها ملا نبي بعد ان رأى شجاعته وعرف هويته الحقيقية وحسبه ونسبه.

اقيمت الأفراح والليالي الملاح سبعة أيام بلياليها. ثم ان لاس استأذن من حميه أن يصطحب زوجته ويعود إلى قريته كي يفرح أبيه وأمه، فوافق الملا نبي وجهزهما بجهاز السفر ومضيا صباح اليوم الثامن.

غير أن الأفراح لا تدوم، فلقد كان لويسي ابن عم اشد منه شراً وعدواناً واسمه "جِرك". وكان ابن العم هذا قد اقسم على الثأر لويسي، فتربص لهما وراء صخرة عند مضيق وعر على الطريق ورماه من بعيد، كما يفعل الجبناء، بسهم اخترق فؤاده وأرداه قتيلاً. وهكذا انتهت قصة الحب سريعاً كما بدأت، وترملت غزال الحسناء وهي في عنفوان شبابها وظلت تبكي حبيبها وزوجها رافضة أن يحل رجل محله حتى آخر العمر.

حكاية ديك آغا

في أحد الأيام وبينما كانت الجدة تدقّ حبوبها، اقترب الديك ونقرها، فضربته وفقأت إحدى عينيه. خرج الديك غاضباً وهرب إلى البراري، ومشى ومشى حتى التقى ببرغوثة. سألته البرغوثة:

– إلى أين تمضي يا عمي الديك؟

– اخرسي! لا تناديني بالديك.

– لكن بمَ أناديك؟

– ناديني ديك آغا!

– حسناً. إلى أين تمضي يا ديك آغا؟

– أمضي إلى البرِّ والبراري، إلى القفرِ والقفارِ، إلى المدن والبلدان، ألمُّ عصبة أعوان، لنضرب العجوز الشمطاء، الظالمة الدرداء، فقأت عيني فهمتُ في العراء!

– ألا تأخذني معك؟

– ولمَ لا آخذك؟

وسارا وسارا، حتى صادفا ثعباناً. قال له الثعبان:

– إلى أين تمضي يا عمي الديك؟

– اخرس! لا تنادني بالديك.

– لكن بمَ أناديك؟

– نادني ديك آغا!

- حسناً. إلى أين تمضي يا ديك آغا؟

- أمضي إلى البرِّ والبراري، إلى القفرِ والقفارِ، إلى المدن والبلدان، المُّ عصبة أعوان، لنضرب العجوز الشمطاء، الظالمة الدرداء، فقأت عيني فهمتُ في العراء!

- الا تأخذني معك؟

- ولمَ لا آخذك؟

وساروا وساروا، حتى صادفوا بطيخة. قالت له البطيخة:

- إلى أين تمضي يا عمي الديك؟

- اخرسي! لا تناديني بالديك.

- لكن بمَ أناديك؟

- ناديني ديك آغا!

- حسناً. إلى أين تمضي يا ديك آغا؟

- أمضي إلى البرِّ والبراري، إلى القفرِ والقفارِ، إلى المدن والبلدان، المُّ عصبة أعوان، لنضرب العجوز الشمطاء، الظالمة الدرداء، فقأت عيني فهمتُ في العراء!

- الا تأخذني معك؟

- ولمَ لا آخذك؟

ثم مشوا ومشوا، حتى التقوا بكلبِ صيد خاطَبه قائلاً:

- إلى أين تمضي يا عمي الديك؟

- اخرس! لا تنادني بالديك.

- لكن بمَ أناديك؟

- ناديني ديك آغا!
- حسناً. إلى أين تمضي يا ديك آغا؟
- أمضي إلى البرِّ والبراري، إلى القفرِ والقفارِ، إلى المدن والبلدان، ألمُّ عصبة أعوان، لنضرب العجوز الشمطاء، الظالمة الدرداء، فقأت عيني فهمتُ في العراء!
- ألا تأخذني معك؟
- ولمَ لا آخذك؟

وساروا وساروا، حتى صادفوا روثة قالت له:

- مرحبا يا عمي الديك.
- اخرسي! لا تناديني بالديك.
- لكن بمَ أناديك؟
- ناديني ديك آغا!
- حسناً. إلى أين تمضي يا ديك آغا؟
- أمضي إلى البرِّ والبراري، إلى القفرِ والقفارِ، إلى المدن والبلدان، ألمُّ عصبة أعوان، لنضرب العجوز الشمطاء، الظالمة الدرداء، فقأت عيني فهمتُ في العراء!
- ألا تأخذني معك؟
- ولمَ لا آخذك؟

وسار الجميع إلى بيت العجوز ووصلوا اليه في المساء وتوزعوا فيه ومن حوله، البرغوثة اختبأت في تكة سروالها، الثعبان التف حول

العمود، صعدت الروثة على الفرن، جلست البطيخة فوق فتحة الباب، جثم الكلب أمام المدخل، وصاح الديك: قيقيقيقووو!

- اخرس! (صاحت العجوز) هل تؤذّن والوقت أول المساء؟!

ولم تكد تتم كلامها حتى قرصتها البرغوثة بقوة، فصاحت العجوز:

- أهذه أنت؟ سأقوم وأشعل ناراً، وأمسك بكِ وأحرقك فيها.

ولكن حالما مدّت يدها نحو الفرن حتى تلطخت بالروث، فقامت لتمسحها بالعمود، فلدغها الثعبان، فهمت بالخروج من البيت وهي تصرخ وتطلب النجدة، لكن ما أن فتحت الباب حتى سقطت البطيخة على رأسها فداخت وترنحت، فوثب الكلب عليها وهجم الديك على عينها وفقأها وأخذ بثأره منها!

أنا أعرف ولكن تعال أفهِم أحمد آغا

يُحكى ان رجلاً يُدعى احمد آغا، كان يتمتع بنفوذ وسطوة كبيرين وكانت أحكامه وقراراته تنفذ في الحال ودون جدال، والويل لمن يقع تحت طائلة غضبه أو في يد أعوانه القساة. في احد الأيام دخلت عليه امرأة عجوز واشتكت اليه من ابنها العاق الذي أهملها وطردها من بيته، ورجته أن يستدعيه كي يخيفه ويؤدبه عسى أن يصلح حاله. وبينما هي تتحدث وصل اثنان من أعوان الآغا وهما يجرجران رجلا وينهالان عليه بالصفع واللكم والهراوات وقالا:

- تفضل يا جناب الآغا. هذا هو الرجل الذي طلبت منا إحضاره.

- قيداه وارمياه هنا واذهبا مع هذه العجوز واجلبا ابنها العاق كي اربيّه.

طلب الرجلان من العجوز أن تتقدم أمامهما كي ترشدهما إلى ولدها، لكنها في الطريق استعادت مشهد الرجل المدمى الذي أحضراه إلى الآغا ومقدار الضرب الذي ناله، فحنّ قلب الأم وقالت مع نفسها:

- يا للمصيبة. ابني المسكين ضعيف ونحيل. إنه مجرد جلد وعظم. لسوف يموت بين يديهما من الضرب قبل أن يوصلاه إلى الآغا.

وهكذا صارت تعللهما بالصبر كلما سألاها عن مكان ابنها وهي تفكر في حيلة للتخلص من هذه الورطة، ثم واتتها الفرصة عندما مروا من أمام أحد المقاهي، وابصرت شاباً ممتلئاً تبدو عليه إمارات القوة والعافية، فأشارت نحوه بإصبعها وقالت لهما:

– ها هو.. هذا هو ولدي!

وسرعان ما انقض عليه الاثنان بالضرب والصفع واقتاداه إلى الآغا وهو لا يعرف ما الأمر. وعندما وصلا إلى المجلس القياه أرضاً وهو لا يقوى على الوقوف على قدميه، فصاح به الآغا:

– أيها الولد العاق الحقير! كيف تسيء معاملة أمك هذه وتطردها من بيتك وتدفعها للنوم في الطرقات؟

– عفوا يا جناب الآغا، أنا لا أعرف هذه المرأة.

– الويل لك أيها الجبان! هل بلغت بك الجرأة أن تنكر والدتك التي حملتك في بطنها وأرضعتك وربّتك؟

– أقسم لك يا سيدي، أمي ماتت من عشرة أعوام!

– لا تطل الكلام. هيا قم واحمل أمك على ظهرك وأوصلها إلى البيت. هذه المرة اكتفيت بضربك لخاطر أمك العجوز. لكنني سأقتلك بيدي إن اشتكت منك مرة أخرى. هيا أغرب عن وجهي!

أدرك الشاب أن لا جدوى من النقاش، فحمل العجوز على ظهره وسار بها يتبعه الرجلان الغليظان، وصادف أن مرّا بدكان أخيه الأكبر فصاح به الأخير:

– ما الأمر يا أخي؟ من هذه المرأة التي تحملها على ظهرك؟

– إنها والدتنا!

– هل جننت يا هذا؟ الا تعرف بأنها ماتت منذ عشرة أعوام؟

– بلى يا أخي أنا أعرف، لكن تعالَ أفهِم أحمد آغا![1]

---

١. للحكاية ما يشابهها في القصص البغدادية.

ابنة الحائك

يُحكى أن حائكاً فقيراً عاش في إحدى القُرى، وكانت له ابنة في غاية الرقة والجمال. كان سلطان تلك المملكة معتاداً، كما في كل الحكايات، على ارتداء زي الدراويش وتفقد مملكته، وحدث أن وصل يوماً إلى بيت الحائك وطلب النزول عنده، فرحب به الاخير وأكرمه على قدر استطاعته. وما أن وقعت عينه على الفتاة حتى وقع في حبها فقال لمرافقه:

- سأخرج من البيت بذريعة ما كي تخطب لي الفتاة من أبيها.

سأل الحائك ابنته عن رأيها، فوافقت على العريس حين رأته، ووهب السلطان زوجته وحماه الكثير من المال، وتم الزواج ومكث السلطان في البيت ثلاثة أيام دون أن يكشف عن هويته ثم قال لزوجته:

- انني رجل كثير التجوال ولا أمكث طويلاً في مكان واحد، سوف أعطيك هذه الشارة الذهبية. إذا انجبت لي ولداً ضعيها على ذراعه، أما إذا انجبت فتاة فبيعيها وانفقي ثمنها عليها.

ثم غادرهما عائداً لمدينته. مرّت أيام وأعوام ونسي السلطان أمر زوجته التي وضعت مولودها الذكر بعد رحيله بتسعة أشهر وتسعة أيام! وفي أحد الأيام تشاجر الفتى مع أقرانه، فعيّروه بأنه مجهول الأب. غضب الولد وناشد والدته أن تخبره باسم أبيه، وبعد إلحاح

شـديد أخبرتـه أمـه بقصـة زواجهـا مـن الـدرويش الرحـال والشـارة الذهبية التي تركها له، فشد الولد الشارة على ذراعه وقال:

– لم يعد هذا مكاني. سأرحل باحثاً عن أبي!

وانطلق غير عابئ ببكاء أمه وتوسلاتها. ثـم أن أسفاره ألقته بعد طول سفر في مدينة السلطان، فلاقى إعجاب الناس أينما حل بسبب وسامته وجمال محياه. وحدث أن توقف على باب دكان للحلوى، فخرج عليه صاحبه وسأله:

– يبدو أنك غريب ها هنا.
– هذا صحيح. أنا لا أعرف أحداً في هذه المدينة.
– تعال معي يا بُني. يسرنا، أنا وزوجتي، أن نتخذك ولداً.

شـكر الفتـى صـانع الحلوى ومضـى معـه إلى بيتـه، ومـا أن وقعت عين الزوجة عليـه حتـى شغفت به وحاولـت غوايتـه، فأحس بحرج شديد وطلب من صانع الحلوى أن يسمح لـه بالمبيت في دكانه لا في بيته. وافق الرجل فصار الدكان مأواه، غير أن شهرة الفتـى وجمالـه جعلـت الـدكان قبلـة أنظـار أهـل المدينـة. وبلـغ الأمـر مسـامع ابنـة الوزير، فتنكرت وتوجهـت إلى الـدكان، وكـان قريباً من قصـر أبيهـا، فرأته وهامت بحبه على الفور، وأرسلت خادمتها إلى صاحب الـدكان تطلب منه إرسال صينية من الحلوى بيد مساعده الجديد.

عنـدما وصـل الفتـى، صـرفت ابنـة الـوزير الخـدم وأدخلتـه إلى حجرتها الخاصة وقالت له:

– اسمع. أنا ابنة الوزير، ولقد همت بغرامك. أريدك أن تطارحني الهوى وإلا..

ولم يكن بها من حاجة للتهديد، فقد وقع الفتى هو الآخر في حبها وبادلها كؤوس الغرام!

بعد أيام أحضرت ابنة الوزير حفار آبار وطلبت منه أن يشق نفقاً بين غرفتها والغرفة الخلفية للدكان، حيث يبيت حبيبها الذي أخفى مدخله بلوح غطاه بالسجاد، وصارت ابنة الوزير ترسل خادمتها في طلبه كل ليلة، فيأتيها ويبيتان معا إلى الصباح!

في أحد الأيام، أصدر السلطان أمرًا بمنع التجوال أو إضاءة المصابيح خلال ساعات الليل، ثم تنكر كعادته وخرج لتفقد الناس، فأبصر من بعيد بصيصاً من الضوء يتسلل من دكان الحلوى فتوجه نحوه وطرق الباب ونادى:

– افتحوا الباب على حب الله. أنا درويش جوال وغريب و أخشى أن يعتقلني حراس السلطان.

رقّ الفتى لحاله وأدخله لحجرته. ولم يلبثا حتى طرقت الخادمة لوح المدخل ونادت من ورائه:

– هيا يا سيدي. سيدتي تطلبك.
– قولي لسيدتك أن عندي ضيفاً.

ومرت دقائق، عادت بعدها الخادمة لتقول:

– سيدتي تقول تعال أنت وضيفك.

فوجئ الدرويش- السلطان وتساءل عما يحدث، فقال له الفتى:

- لا تقلق. تعال معي.

ثم رفع السجادة ودفع اللوح، ومضيا عبر النفق حتى بلغا مخدع ابنة الوزير التي ما أن رأت حبيبها حتى ارتمت في أحضانه وغمرته بالقبلات غير مبالية بوجود الغريب!

في اليوم التالي أمر السلطان مرة أخرى بمنع التجوال وإضاءة المصابيح، واصطحب وزيره وتوجها إلى الدكان نفسه، وحدث معهما ما حدث بالأمس. جن جنون الوزير حين وجد نفسه في قصره ورأى ابنته تتبادل الغرام مع هذا الشاب وفي حضور هذين الغريبين وهم باستلال سيفه وتقطيعهما إرباً، لكن السلطان أمسك بيده وأمره بالتزام الصمت حتى يبت بأمرهما في الصباح.

لكن صباح اليوم التالي حمل أموراً طارئة دفعت السلطان إلى مغادرة العاصمة على وجه السرعة، فاستدعى الوزير وقال له:

- سأذهب مع الحاشية وأعود خلال أيام وسأترك إدارة السلطنة اليك ريثما أعود.. ها.. بالنسبة لما رأيناه ليلة أمس: آمرك بألا تفعل شيئا ولا تؤذيهما حتى أعود.

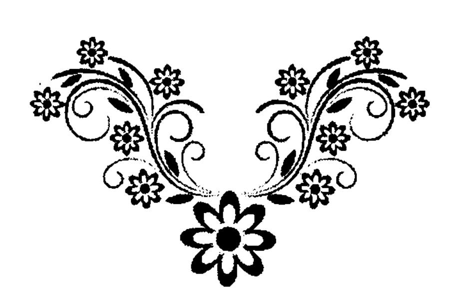
لكن الوزير لم يصبر طويلاً وأوشك على الموت غمّاً، فأمر بإلقاء القبض على الشاب وشنقه في ساحة كبيرة خارج المدينة، وأرسل منادياً يدعو الناي إلى التجمهر في اليوم المحدد ليشهدوا إنزال القصاص به. غير أن الأقدار شاءت أن يعود السلطان من مهمته باكراً

دون أن يبلغ القصر برجوعه، فأبصر حشوداً من الناس تتجمهر في ذلك المكان، وسأل عما يجري فقيل له أن الوزير سيشنق صانع الحلوى الشاب، فهرع إلى الساحة، وإذا به يرى الشاب مقيداً عاري الجذع وهو يساق إلى حتفه، وإذا به يبصر الشارة الذهبية المربوطة إلى ذراعه، فعرف أنه ابنه الذي لم يره من قبل، فصاح على الوزير:

- توقف.. إنه ابني!

ثم قص على الوزير حكاية زواجه من ابنة الحائك، وأرسل في طلبها هي وأبيها العجوز.

ولا تنتهي الحكاية بالطبع إلا بزواج الأمير الوسيم من ابنة الوزير الحسناء وإقامة الأفراح سبعة أيام بلياليها! ثم عاشوا جميعا في سعادة وهناء!



الجنازة

يُحكى أن مسافراً وصل إحدى القرى في ساعة متأخرة من الليل ولم يعرف بيتاً معيناً يقصده، واضطر إلى التوجه إلى مسجد القرية فرأى رجلاً ممداً وسطه، فظنه مسافراً غريباً مثله نزل ضيفاً عليه، فدنا منه ورقد قربه ظهراً لظهر وهو يقول لنفسه هكذا لن نشعر كلانا بالبرد حتى الصباح.

حين دنا الفجر وحان وقت الآذان، رأى المسافر باب المسجد وهو يفتح ويدخل إليه رجل أدرك أنه الملا الذي جاء ليؤذن للصلاة، فبادره قائلاً:

– مرحبا يا ملا هل حلّ وقت الأذان؟

ارتبك الملا عندما سمع ذلك وأحس بخوف عظيم، إذ حسب أن الرجل الذي مات الليلة الماضية وأودعه الأهالي في المسجد قد عاد للحياة، فأسرع بالفرار، لكنه لفرط خوفه نسي بأن عارضة الباب واطئة ومصنوعة من الرخام الصلب الحاد الأطراف فارتطم رأسه بها وسقط أرضاً وفارق الحياة من أثر الارتطام أولاً، ومن شدة الهلع ثانياً.

أصيب المسافر بالحيرة والذهول، إذ لم يكن يعلم بأن الشخص الذي رقد بجواره طوال الليلة الماضية رجل ميت، ولا يعرف أيضاً ماذا يفعل بالملا.

بعد قليل دخل أحد أبناء القرية إلى المسجد لأداء صلاة الصبح. كان رجلاً عجوزاً متعبداً ملازماً للمكان. فوجئ الرجل بالمشهد الذي رآه: مؤذن المسجد راقد دون حراك، والرجل المسجى في مكانه، والمسافر الغريب الذي جلس ذاهلاً مرتاعاً ينقل النظر بينهما، فسأله عن الأمر، وقص عليه الأخير كل ما حدث. عندها أدرك العجوز حقيقة ما جرى، وأوضح للمسافر بأن الرجل الذي رقد بجواره ليلة الأمس لم يكن إلا واحداً من أبناء القرية، وقد توفي في ساعة متأخرة من الليل فارتأى الناس أن يسجّوه في المسجد ريثما ينجلي الصبح ويحملون الجنازة إلى المقبرة التي تقع على مسافة ما خلف تخوم القرية، وبأن الملا شعر بالهلع على ما يبدو عندما سمع حديث المسافر معه وظن أن الميت قد عاد للحياة فلاذ بالفرار وارتطم بعارضة الباب وحدث له ما حدث.

– وماذا أفعل الآن يا سيدي؟ (سأل المسافر)

– أفضل شيء تفعله هو أن تخرج من هنا وتغادر القرية في الحال، لأن أهل الملا سوف يتهمونك لا محالة بقتله ويطلبون القصاص منك.

وهكذا عمل المسافر بنصيحة الشيخ وهرب من القرية لا يلوي على شيء وهو يلعن حظه السيء الذي أوقعه في هذه الورطة العجيبة!

الضيافة العجيبة

يُحكى أن رجلاً عاش في إحدى القرى واشتهر فيها بالكرم وفعل الخير، حتى عمّ إحسانه على الجميع وذاع صيته في الجوار بسبب حسن ضيافته وإكرامه للضيف. غير أنه عرف بخصلة سيئة وحيدة، إذ كلما حل به زائر بالغ في ضيافته واحترامه وسارع إلى تقديم أفضل ما في بيته من عشاء، ثم قدم له فطوراً دسماً في الصباح، ولم يكن يكتفي بهذا، بل يضع في حقيبة الضيف وجبة غداء كاملة ثم يرافقه حتى أطراف القرية، حيث ينهال عليه بهراوته قبيل مفارقته!

ويقال أن أخبار هذا السلوك العجيب من كرم وحسن ضيافة ينتهيان بالضرب قد انتشرت في المنطقة بأسرها، فقرر رجل من إحدى القرى المجاورة أن يعرف حقيقة الأمر والسر الذي يكمن وراء هذا التصرف الغريب، فلبس ثياب السفر ووضع خنجره في حزامه وامتطى دابته وقال مع نفسه:

- لسوف أقتله بهذا الخنجر إن ضربني أو رفع هراوته بوجهي!

ومضى حتى وصل إلى منزل ذلك الرجل قبل حلول المساء، فاستقبله الأخير بكل تقدير وترحاب، وقدم له عشاءً فاخراً وهيأ له فراشاً وثيراً وفطوراً صباحياً شهياً، ثم أصر على أن يضع له وجبة غدائه في حقيبة السفر، ثم حمل هراوته وسار معه ماشياً حتى

اطراف القرية. كل هذا والضيف ممسك بقبضة خنجره متهيئاً لطعنه إذا ما حاول ضربه بالهراوة.

وعندما بلغا حدود القرية، امتطى الضيف دابته وودع مضيفه وابتعد قليلاً دون أن يلاحظ عليه أي مسعى لضربه كما سمع من الآخرين، فتوقف وعاد اليه وقال له:

– مهلاً أيها الرجل. لقد سمعت بأنك إنسان خيّر كريم تحسن استقبال ضيوفك، وهذا ما تأكدت منه ورأيته بعيني، لكنني سمعت أيضا بأنك تنهال على ضيوفك بهراوتك في ساعة التوديع، فلماذا لم تحاول فعل ذلك معي؟ هل خفت من الخنجر الذي في يدي والذي اقسمت بأن اقتلك به إذا ما اقدمت على ضربي؟

ضحك الرجل وأجاب:

– كلا. أنا لم افكر أصلاً بضربك.

– فلماذا كنت تفعل هذا مع الآخرين؟

– لأنك لم تفعل مثلما كانوا يفعلون: لقد كانوا يبالغون في تملقي ومدحي وإطرائي على شيء اعتبره واجباً عليّ. وكانوا بذلك يضيعون عليّ أجر ما فعلت، ولهذا كنت أعاقبهم وأسترد أجري بضربهم!

الفقير الماكر والغني الأحمق

يُحكى أن رجلاً بطّالاً كسولاً كان يقف كل يوم وراء شباك بيته وينظر إلى السماء ويرفع يده بالدعاء ويقول:

– يا إلهي أريد منك مئة قطعة ذهبية، مئة بالتمام والكمال، لا تنقص واحدة، وليكن معلوماً أنك لو أعطيتني تسعاً وتسعين فسوف أرفضها ولن أقبلها منك!

ظلّ هذا دأبه كل صباح. وحدث أن أحد التجار الأغنياء اعتاد على المرور من أمام شباك ذلك الرجل وسماع دعائه العجيب وشروطه على الله! فقرر أن يختبره بنفسه، فوضع تسعاً وتسعين قطعة ذهبية في كيس صغير ورماه في بيته من مشكاة في الجدار ووقف يراقبه. تفاجأ الرجل بسقوط الكيس، وسارع إلى فضّه، وعدَّ القطعَ فوجدها تسعاً وتسعين، لكنه فرح بها أيما فرح ورفع رأسه إلى السماء وقال:

– حسناً يا إلهي، لقد سامحتك في القطعة الناقصة!

أدرك التاجر أن ذهبه قد ضاع وأن الفقير لم يلتزم بما ادّعاه بأنه لن يرضى بأقل من مئة قطعة، فطرق بابه وقال له:

– هيا أعد إليّ ذهبي، فلقد كنت أجربك.

فأجابه الفقير:

- كلا لن أفعل، أنها لي وقد أرسلها لي الله.

بكلمة منه وكلمة من التاجر تحول الجدال إلى عراك، فقال التاجر:

- لنذهب إذن إلى القاضي ليحكم بيننا بالشرع.

- حسناً، لكنني لا أستطيع مرافقتك وأنا بهذه الملابس الممزقة بينما ترفل أنت في ثيابك الجديدة. من المؤكد أن القاضي سيحكم لصالحك.

ذهب التاجر إلى بيته وجلب له طاقماً من الثياب الجديدة وقال له تفضل البسها وخلّصنا. ومضا الرجلان، لكن الفقير توقف بعد قليل وقال:

- لا لن استطيع الذهاب معك.

- ولماذا؟

- انت تمتطي بغلة فارهة وانا امشي على قدميّ ولا شك بأن القاضي سيحكم لصالحك بسبب وجاهتك.

اضطر التاجر للترجل عن بغلته وإركاب الفقير عليها ومرافقته سيراً على قدميه حتى وصلا إلى القاضي وقصّا عليه الحكاية، فقال الأخير مخاطباً الرجل الفقير:

- اسمع يا هذا. القطع الذهبية من حق التاجر. هل سمع احد قبلاً أن الله أسقط نقوداً على احد؟!

فأجاب الفقير الماكر:

– طيب يا سيدي القاضي. أنا على استعداد لإعطائه الذهب إكراماً لعينك، لكنه سيقول بان هذه الثياب التي ألبسها تعود له.

هنا صاح التاجر:

– نعم هذا صحيح يا سيدي، إنها ثيابي وأنا من ألبسته إياها.

فعاد الفقير الماكر إلى القول:

– لا بأس يا سيدي. أنا مستعد للتنازل له عن ذهبي وثيابي لكنه رجل طماع وسوف يدعي بأن البغلة أيضاً تعود اليه.

– نعم، هذا صحيح. ألم تقل لي بأنك لا تستطيع الذهاب إلى القاضي راجلاً وأنا راكب بغلتي؟

عندها احتدم غضب القاضي وقال للتاجر:

– لقد أطلتَ الكلام. أنت رجل كاذب تريد أن تحتال على هذا الفقير وتسلب منه أملاكه.

وطرده من دار القضاء شر طردة بينما خرج الفقير المحتال ظافراً بالذهب والثياب والبغلة!

تختبيش

تقع أطلال قرية تَختَبيش، الشاخصة حتى اليوم، بين قريتي (داري) و (كورِك). لم يبق من القرية سوى بعض الخرائب والمزابل، وهي ترقد فوق جبل يجعل الطريق اليها وعراً عصياً، رغم أن بعض الرعاة يسوقون أغنامهم للرعي فيها.

تختبيش، مكان مهجور قبيح، لكنه بالنسبة لأهله غاية في البهاء وعلو الشأن. في أحد الأيام سافر واحد من أهلها وحط في اسطنبول. كان فقيراً عارياً كادحاً فظل يعمل ويكافح لسنوات وسنوات من أجل لقمة العيش حتى تقرح ظهره من حمل أمتعة الأغنياء دون أن يحظى بشيء من الراحة والهناء. مضت أعوام طوال وهو على هذا الحال من الحيرة والشقاء، حتى التقى ذات يوم بفتاة جميلة ممشوقة القوام أحبته وأحبها وارتضت به زوجاً رغم فقره وضعف حاله، وعاشا معاً في حب وسعادة ووداد. كانت الفتاة على حظ من الثراء، فشاركته ثروتها واغتنى وتحسنت حاله، فتنعمت يداه المتكلستان الخشنتان، وابدل تلك النعال الممزقة في قدميه بأحذية نفيسة، ونسي تلك الأسمال الممزقة، وصار يرتدي فاخر الثياب وتحول ذلك الجوع والشقاء إلى تجارة ويسر.

لكن ذلك كله لم يكن ليمنعه من تذكر موطنه والشوق إليه، بل انه كان يزداد حباً له وتعلقاً به رغم علمه بما آل اليه من خراب.

في أحد الأيام وبينما هو يتمشى في حدائق القصر الخلفية، يمم وجهه صوب كُردستان، وتذكر تختبيش، فلم يستطع مغالبة دموعه واجهش بالبكاء. تعجبت زوجته عندما رأته وقالت له:

- ماذا أصابك يا رجل حتى تبكي بهذه المرارة؟ خيراً إن شاء الله. هل رِأيت مني ما يؤذيك؟ أم راودك شك ما؟ قل لي الحقيقة. ما خطبك؟

- لا والله. انا سعيد معك ولا أبدلك بعينيَّ الاثنتين. لكنني تذكرت وطني الجميل الحبيب فاستشاط قلبي من الحنين اليه.

- يا حبيبي. إن كان وطنك على هذا القدر من الطيب والجمال فدعنا نرحل اليه معاً!

ولم تكد تشرق شمس النهار التالي حتى شرعا ببيع أملاكهما وعقاراتهما وكل غال ونفيس ليغادرا العاصمة الكبيرة وينطلقا بعد أيام قلائل نحو تختبيش. وما أن وصلا اليها حتى تخلص الرجل من ثيابه الفاخرة والقى نفسه على الأرض وراح يتمرغ فوق العشب وهو يردد "آه يا تختبيش!" تفاجأت المرأة وهتفت به:

- قاتلك الله يا رجل! أهذا موطنك تختبيش الذي صدعت رأسنا به؟!

- نعم والله يا امرأة. هي تختبيش، موطن آبائي وأجدادي وتراب أسلافي الذي ولدت فوقه. إنها تختبيش!

سكتت المرأة على مضض وهي تسّر في نفسها أمراً، وعندما حل الليل استلت سكيناً حامية ووضعتها في رقبته وفصلت رأسه عن جسده ودفنته في خرائب تختبيش، ثم جمعت كل حاجياتها ومضت في الصباح عائدة إلى مدينتها.

ومنذ ذلك اليوم يتناقل الكورد هذه الحكاية ويرددون في حسرة: آه يا تختبيش!

المصادر

- Sadiq Bahaeddin Amedi- Folklora Kurdi- Atalay Matbaacilik- Ankara ٢٠١٣.
- عبد العزيز خياط، دەراڤەك ژ دەريا فۆلكلۆرى، دهوك، ٢٠٠٥.
- هلمت عثمان- من حقيبة حكايات امي، ٢٠١٣.
- عبد الرحمن بامرني- ژ بەرپەرێن كەڤن سەرهاتييێن كوردى، معهد التراث الكردي- ط١- ٢٠٠٨.
- عبد الرحمن بامرني- شەڤێن چلەيى-معهد التراث الكردي- دهوك ٢٠١١.

عن المترجم

د. ماجد الحيدر، ولد في بغداد عام ١٩٦٠ لعائلة كوردية فيلية.

تخرج من كلية طب الأسنان ببغداد ١٩٨٤، عضو اتحاد الأدباء الكورد واتحاد الأدباء والكتاب في العراق.

يكتب ويترجم بالعربية والكردية والانكليزية.

من أعماله المنشورة:

١. النهار الأخير (مجموعة شعرية)– بغداد ٢٠٠٠
٢. في ظل ليمونة (مجموعة قصصية)– بغداد ٢٠٠١
٣. ماذا يأكل الأغنياء (مجموعة قصصية)– بغداد ٢٠٠٢
٤. مزامير راكوم الدهماء وقصائد أخرى (مجموعة شعرية) – بغداد ٢٠٠٢
٥. نشيد الحرية وقصائد أخرى لشيللي (ترجمة)– دار الشؤون الثقافية– بغداد ٢٠٠٤
٦. الإيدز بين المناعة والفيروس– دار الشؤون الثقافية– بغداد ٢٠٠٤
٧. عبور الحاجز– قصائد من الشعر العالمي (ترجمة)– دار المأمون– بغداد ٢٠٠٧
٨. ناجون بالمصادفة (مجموعة شعرية)– دار سبيريز–دهوك ٢٠٠٩

٩. ضحك كالبكاء (كتابات ساخرة)- منشورات ملتقى الأهالي- بغداد- ٢٠١٠

١٠. الثلج والنار والأغنيات- مختارات من شعر مؤيد طيب (ترجمة) - دار الثقافة الكردية- بغداد ٢٠١٠

١١. مالاني (قصص قصيرة بالكردية)- منشورات اتحاد الأدباء الكرد- دهوك ٢٠١٢

١٢. The Psalms of Rakoom the Black and Other Poems- Proclaim Press-Pittsburgh-P.A.-USA

١٣. Yes, It's Me- Selected Poems-Union of Kurd Writers-Duhok-٢٠١٤

١٤. في الذكرى السنوية لرحيلي (قصص قصيرة)- وزارة الثقافة- بغداد- ٢٠١٤

١٥. غلطة من هذه؟ (مجموعة شعرية)- مطبعة جامعة دهوك- دهوك ٢٠١٥

١٦. ستأخذنا الريح- مائة قصيدة وقصيدة من الشعر النسوي العالمي (ترجمة)- الهيئة السورية للكتاب- دمشق ٢٠١٦

١٧. الملاك الألثغ الصغير (قصص)- دار أمل الجديدة- دمشق ٢٠١٦

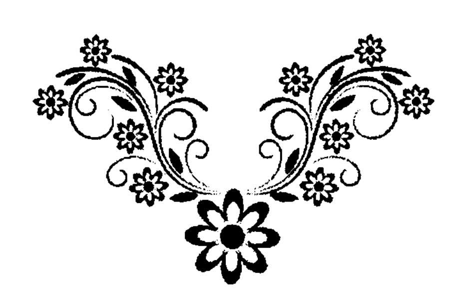
١٨. مؤيد طيب، قصائد مختارة (ترجمة)- دار ومكتبة جزيري- دهوك ٢٠١٦

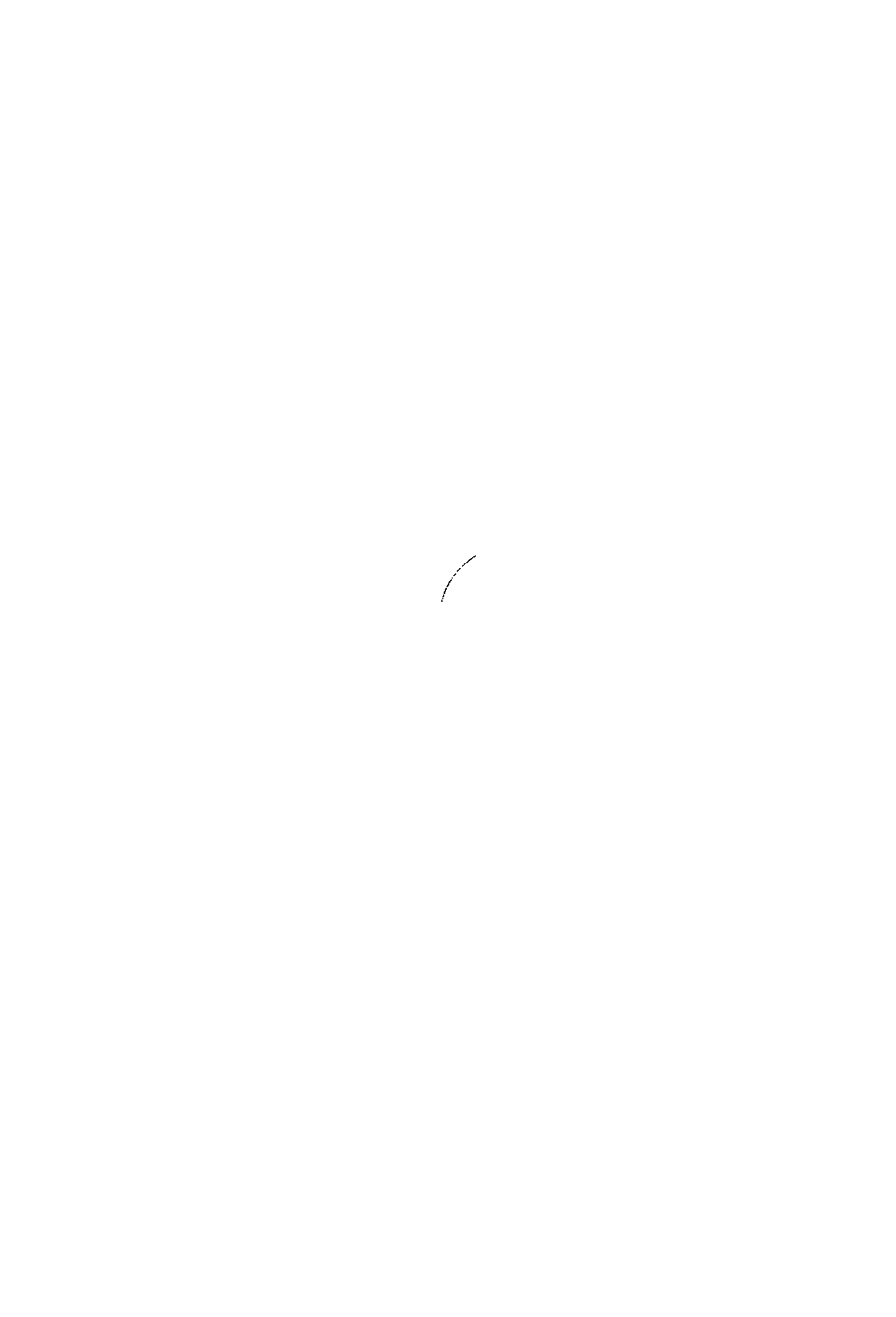
١٩. يهودا عميخاي-الله شفيق بأطفال الروضة وقصائد أخريات ليهودا عميخاي (ترجمة)- دار الكا- بلجيكا ٢٠١٨

٢٠. كفَّ عني يا فيثاغورس (شعر)- دار سبيريز للطباعة والنشر- دهوك ٢٠١٩

٢١. لا ريح تقلني، لا أرض تحملني (شعر مترجم)- دار الضفاف- عمان ٢٠٢٠

٢٢. امي تذهب إلى الجنة، مختارات من شعر قوبادي جليزاده، السليمانية ٢٠٢١.





التراث الشعبي عالم واسع متشعب، يضم العديد من الأجناس من قصة وأسطورة وملحمة وخرافة وأمثال وشعر وغناء وطرفة وأمثال وأحاجٍ وألغاز وألعاب.

والقصة الفولكلورية، جنس سردي مهم من التراث الشعبي (الفولكلور) وقد يتمثل في حكايات واقعية وأحداث حقيقية جرت في زمن ما، أو في أحداث متخيَلة يمكن تصديقها أحياناً، وأخرى تدنو من الخرافة وتعد ضرباً من الأمور التي يستحيل حدوثها على أرض الواقع.

في مجتمعنا الكُردي احتلت القصة الشعبية حيزاً مهماً من الذاكرة الجمعية للشعب، خصوصاً في ظل قرون طوال من التبعية والاحتلال وغياب (أو تغييب) الأدب المدون.

لم تكن القصة الشعبية الكُردية مجرد حكايات يقصد بها إزجاء الوقت والاستمتاع بأحداثها الشيقة، إنها مدرسة يتعلم منها الشعب الكثير من القيم والمبادئ المتوارثة جيلاً بعد جيل من شجاعة وحكمة ومحبة وتسامح.

من هنا تكمن أهمية جمع وتوثيق وتبويب هذه القصص من جانب، وترجمتها إلى اللغات الحية الأخرى لكي تعرّف الامم بهذا الشعب الشجاع الأصيل من جهة أخرى، وهذا ما حاولت فعله قدر الإمكان من خلال اختياري وترجمتي لهذه القصص والحكايات.

Kurdish Haritage Institute